21 متر مربع

رواية

فرية الدم

تقى سيف الدين

الكتـــــــاب: ٢١ متر مربع: فرية الدم
اسم المؤلفـــة: تقى سيف الدين
تصميم الغـلاف: ريهام البلتاجي
التدقيق اللغوي: ريهام الغنام
الطبعـــــــة: أبريل 2021
رقـم الإيـــداع: 5995 / 2021
الترقيـم الدولـي: 7 - 382 - 779 - 977 - 978
الموقـــــــع: www.ibda3eg.com

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله
dreidibrahim@gmail.com

للتواصل بخصوص النشر:
info@ibda3eg.com
publishing@ibda3eg.com
للتواصل بخصوص المبيعات
00201004022774

العنوان: 10 ش هدى شعـــــراوي، وســـط البـــلد، القاهـــرة
هاتف: 0223909119 - موبايل: 01001631173
البريد الإلكتروني: info@ibda3eg.com


dar__ibda3


ibda3-tp


dar__ibda3

رواية

فرية الدم

تقى سيف الدين



الإهــداء

إلى كل من دعمني خلال فترة إتمام هذا العمل:

إلى صديقي "محمد" لنصائحه الدائمة

إلى صديقتي "خلود" الغالية

إلى صديقتي العزيزة "بدر رمضان"؛ شكرا لثقتك الدائمة بي.

إهداء خاص

إلى صديقي العزيز "عبد الرحمن"؛

شكرا لدعمك الدائم لي.

مقدمة

بشِّر القاتل بالقتل ولو بعد حين، على ذلك نشأنا جميعًا، حتى ترسخت تلك الجملة بعقولنا، و حُفرت في قلوبنا، لتولِّد الرهبة في أنفسنا من فكرة القتل.

لكن هل يمكننا حقًّا الهروب من نتيجة أفعالنا في نهاية الأمر؟!

تتوهج الأنوار الكهربائية المبهجة المعلقة في جميع أرجاء المنزل في أحد مظاهر الفرح بينما تنطلق زغاريد النساء من كل مكانٍ في القصر الكبير حيث يقام عقد قران حَفيدي عائلة (السوالمة) حين أطلق الرجال الأعيرة النارية أمام المنزل احتفالاً بقدوم الشيخ لعقد القران.. لكن لم تكن الأعيرة النارية تطلق فقط خارج المنزل بل هناك في تلك الغرفة الكبيرة أعلى القصر حيث تقبع العروس لتنهي زينتها، صدر ذلك الصوت الذي يجفل كل من يسمعه عن قرب.. وهذا ما حدث حين سمعت تلك الخادمة المسكينة صوت إطلاق الرصاص بينما كانت تمر بجوار غرفة العروس لتجفل، فيسقط ما بيدها، وتنطلق صرخاتها المستغيثة طلبًا للنجدة لتقطع كل معالم الفرح..

ما هي إلا دقائق معدودة حتى تجمهر أهل المنزل أمام تلك الخادمة المنهارة أرضًا بجوار الغرفة صارخة، فلا تستطيع استبيان كلمة واحدة بينما تسيل دموعها لتشير إلى باب غرفة العروس.. فتح الباب عم العروس ليتجمد بضع لحظات بينما ركض الجميع إلى الداخل، دخل هذا العم والأب المنكوب الغرفة ليقف أمام هذا المشهد المهيب

حيث تقبع العروس بفستانها الأبيض الناصع اللامع الممزق بينما تلطخه الكثير من الدماء، دماء ابنه وقرة عينه الذي أقام له حفل زفاف ليصبح بعد بضع دقائق زوجها! ركضت زوجة العم (رجاء) إلى الغرفة لتتخطى الجميع وتقف أمام هذا الجثمان الملقى على الأرض، اتسعت حدقتاها لتشاهد الدماء التي تغطي هذا القميص الأبيض الذي قامت بإعداده وألبسته إياه من أجل حضور ليلة عرسه، لا تستطيع استيعاب ما يحدث هنا، هل هذا الجسد هو حقًّا جسد ابنها؟! حدقت إليه في هلع، فلم تقوَ قدماها على الصمود لتنهار أرضًا بجوار جسد ولدها، ألم يخترق صدرها حتى كاد يفتك به، حاولت الصراخ للتعبير عن ألمها لعل تلك النيران الحارقة التي تشتعل في صدرها، تهدأ قليلًا لكنها لم تستطع.. حتى أنها فقدت القدرة على التنفس، فقد ضاق صدرها حين اعتصره الألم، وضعت يدها على صدره، فاختلط جلدها الأبيض بدمائه، حاولت استشعار دفء حضن صغيرها الذي طالما ضمها لسنواتٍ طوال لكنها لم تجده، شعرت فقط بتلك البرودة التي تغلف الجسد حينما تتركه الروح، برودة الموت الذي اختطف صغيرها بل سرق حلمها.. ضمت قبضتها على قميصه، وقد وجد صوتها السبيل أخيرًا إلى حنجرتها لتنطلق صرخاتها بينما يتردد صداها في كل أرجاء المكان..

أما (سديم) فكانت تجثو أرضًا في صدمةٍ منهكة كأنها تركض في (ماراثون) بينما تحاول أن تستنشق الهواء من خلال شهقات متتالية حين شعرت أن الهواء قد نفد من حولها، ارتعشت شفتاها التي فقدت لونها الأحمر ليتناثر على وجهها، حدقت إلى هذا السلاح القابع بين يديها في إهمال، استقرت عيناها على تلك القطرات الحمراء التي لوثت بياض ردائها اللامع.. إنها قطرات دمه التي تناثرت على رداء زفافها!

دماء من نوعٍ خاص!

شعرت أن أحدهم يركض تجاه هذا الجسد الممدد أرضًا أمامها بينما تطلق النساء صرخات الاستغاثة، تحرك نظرها إلى جثمان (فضل) بينما تلطخ قميصه الأبيض بدمائه حيث ارتكزت رصاصتها في منتصف قلبه لينفق حبها داخله إلى الأبد بينما يقف الحاج (عبد الحكيم) مرتجفًا، يحدق إلى جثمان ابنه وقد انهارت قوته أمام ما يراه، تبخرت كل أحلامه في الحياة وذهبت أدراج الرياح بينما أطلقت زوجته (رجاء) صرخاتها التي تمزق نياط القلب وتصل إلى عنان السماء..

ما بين ذهولٍ ورعبٍ وحزنٍ، وقف الجميع أمامها بينما كانت في حالة صمتٍ تام، تباينت الأصوات بضع دقائق، ما بين صراخٍ وسبابٍ

واستغاثة إلى أن حضرت سيارة الإسعاف، وسيارة الشرطة..

يمر المشهد أمامها كأنها تشاهد أحد المسلسلات في التلفاز بينما يقوم رجال الإسعاف بوضع خطيبها (فضل) في أحد أكياس الموتى، وهناك شخص يقوم بتصوير السلاح القابع بين يديها بينما يحاول آخر أن يجذبه في هدوءٍ من بين أصابعها، وبجوار الباب يقف اثنان من رجال الشرطة، يحجبان رجال العائله بينما يقف الضابط محدقًا إليها وإلى كل زاوية في هذا المكان.. شعرت (سديم) بيد (أمين الشرطة) الذي يكبلها ويساعدها على الوقوف، وما كادت تقف حتى تهاوت أرضًا، وقد غابت عن هذا العالم بكل ما فيه بينما تناثرت أقمشة ردائها حولها حين هرول المسعفون إليها.. يد أمها الحانية تلمس وجنتيها في دفءٍ.. لا، إنها ليست يد أمها، إنها يد (سفيان) الحبيب، تداعب وجنتيها في عطفٍ، لا.. إنها ليست مداعبات بل يد قاسيه تلمس وجهها في خشونة، أجل إنها يد عمها (عبد الحكيم) حين صفعها، مهلًا إنها ليست يد (عبد الحكيم) بل تلك اليد التي تمقتها، إنها يد أنانية شهوانية، ترغب في لمسها.. إنها يد (فضل)! تحولت اللمسات إلى صفعاتٍ لتستفيق (سديم) من هذا التخبط، نظرت إلى تلك اليد.. إنها يد الطبيب، يحاول إعادة وعيها..

كم مر من الوقت؟! خليط من اللمسات والمشاعر التي مرت بها خلال

الفترة المنصرمة، قد تصارعت في عقلها الباطن لتداهم حلمها الغائم.. نظرت حولها، إنه المكان نفسه الذي كان نقطة تحولٍ في حياتها، نظرت إلى موضع الجثة، لم تعد موجودة لكن بقي أثرها، تلك البقعة الكبيرة من الدماء دليل على أنه قد زُهقت روح هنا.. وها هي الآن تكبل بالأصفاد بينما تبدأ رحلتها في حصد ما زرعت ودفع ثمن ما جنت يداها، ساعدها (أمين الشرطة) على الوقوف لتتساقط أقمشة ردائها الممزق، فينكشف الكثير من جسدها البض، بشرة ناصعة البياض لكن مشوهة، أجل مشوهة بالكثير من الكدمات الزرقاء والخدوش الدامية بينما أعلى كتفها كان هناك جرح غائر، ينزف لتختلط دماؤها بدماء (فضل) لرسم لوحة مرعبة على رداء زفافها!

خطت (سديم) إلى خارج الغرفة، كانت حالتها مزرية وقد تمزق ثوبها كليًّا، ترغب في رفع يدها علها تستر ما انكشف من جسدها بتلك الأقمشة الممزقة لكن يدها لم تستجب، كادت تتعثر مرتين حين جرها (الأمين) خلفه جرًّا، مرت أمام (عبد الحكيم) الذي يجلس على أحد المقاعد بجوار الغرفة بينما يقف حوله العديد من الرجال لمواساته، التقت أعينهما ليتبادلا الكثير من الأسئلة..

هل فقد ابنه حقًّا؟!

هل ما تراه بأم عينها حقيقة؟!

إنه (عبد الحكيم).. هذا الرجل الذي لا ينحني أبدًا مهما كانت قوة الرياح التي يواجهها، إنه الآن لا يستطيع الوقوف، لقد انحنى ظهره، واتسعت عيناه في انكسارٍ ووهن!!

هكذا فكرت (سديم) في تلك اللحظات بينما كان عمها يحدق إليها متسائلًا في صمت: «كيف؟ كيف قتلتِ ولدي؟ ولماذا؟! لقد عشقكِ! لماذا يحدث هذا يوم زفافه؟!»

كل تلك الأسئلة استقبلتها (سديم) من نظراته لتجيب في صمتٍ: «هذا ما جنته أيديكم!»

شعرت (سديم) أنها تساق إلى الموت، فلم تستطع التحرك، ركبت سيارة الشرطة التي اصطف الجميع حولها ناظرين إلى تلك التي قتلت خطيبها ليلة زفافها!!

ما بين دعاءٍ وصراخٍ ونظراتٍ مشتعلة، قضت (سديم) ليلة زفافها.. سارت سيارة الشرطة التي تحملها بين الطرقات بينما شردت لتفكر، تمنت أن الأحداث تتغير ليصبح اليوم حفل زفافها لكن برفقة من تحب كي تجلس سعيدة بجواره في سيارةٍ أخرى غير سيارة الشرطة.. جلس الشرطي الذي يحمل سلاحه بين يديه، يراقبها عن كثب خوفًا من أن تقوم بأي حركةٍ عدائية، فتقتله كما قتلت خطيبها أو ربما خوفًا

من أن تفر هاربة لكن السؤال الحقيقي هنا؛ هل تستطيع الإتيان بأي فعلٍ الآن؟ تشعر أن روحها قد فارقتها لتغادر جسدها بعد أن أقدمت على هذا الفعل الشنيع الذي حرمه الله حين قال: «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَو فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ»

لكن ألم يكن ما تعرضت له مثل القتل؟ لقد مزقوا نياط قلبها لتتحول إلى بركانٍ ثائر يحرق ما حوله!

وصلت السيارة أمام القسم ليهبط الحارس ممسكًا ذراعها المجروحة في قسوةٍ لتهبط خلفه، في الوضع الطبيعي، يجب أن تصرخ ألمًا لكنها فقدت الشعور بالألم!

حين دخلت (سديم) قسم الشرطة.. اتجهت إليها الأنظار متسائلة؛ من تلك العروس البائسة؟ سؤال تردد في عقول الكثير حين عبرت عنه نظراتهم بل أن هناك من عبر عنه مباشرةً حين تساءل أحدهم عن فعلتها بينما نظر الآخر في حزنٍ إلى جسدها وردائها الممزق الذي تناثرت عليه الدماء متسائلًا: «دم من هذا؟ هل تلك دماؤها أم هناك قتيل؟!»

سارت (سديم) خلف الشرطي في أروقة القسم مكبلة اليدين في وهن، وقفت عدة دقائق بينما ينتظر الحارس إذن الدخول ثم سمعا صوت الضابط حين أذن لهما بالدخول، فتح الباب لتدخل (سديم) خلف الشرطي الذي جذبها خلفه كالدابة! أطرقت عدة ثوانٍ أمام الضابط محدقةً إلى قطرة دمٍ على ردائها، شعرها المبعثر حول وجهها وكتفيها قد حجب رؤية الضابط لملامحها الواهنة، قطع هذا الصمت صوت الضابط قائلًا:

- اقعدي يا (سديم).

شعرت بطنينٍ قد أصاب أذنيها حين سمعت نبرة صوته، ارتعشت جفونها بينما اتسعت عيناها في رعبٍ، لم تقوَ على رفع رأسها حين تمكن الرعب من كل خلاياها..

- سمعاني يا (سديم)؟ اقعدي عشان تعرفي تتكلمي.

رفعت رأسها في بطءٍ ناظرةً إليه، بدا الرعب جليًّا على محياها حين تراجعت خطوة إلى الخلف لكن أقمشة ردائها كانت عائقًا أمام تراجعها أكثر.. قطب الضابط جبينه حين اعتدل في جلسته ليريح ظهره إلى الخلف ثم نظر إليها في شكٍّ ناطقًا اسمها كنوعٍ من التنبيه حين قال:

- أستاذه (سديم).. انتي سمعاني؟

ارتعشت جفونها عدة مرات حين لمع الذعر في عينيها.. كيف؟ كيف يجلس أمامها؟! لقد قتلته، وسمعت صوت حشرجة الموت!

ارتعشت شفتاها بينما بدأ جسدها في التشنج لتقبض بيدها على ثوبها كأنها تستعد للفرار أو الهجوم!

وقف الضابط وقد ارتاب كثيرًا لردود أفعالها، لم ينبس ببنت شفة، حدق إلى عضلات ذراعيها المتشنجة بينما لمح قطرات الدم الطازجة، تسيل من مصدرٍ ما خلف خصلات شعرها التي تغطي كتفيها! ثم التقت أعينهما ليرى الدموع المتحجرة في عينيها، انتقلت عيناه إلى ارتعاشة شفتيها لتخرج تلك الشهقات التي تصدر عنها، التقط شهيقًا وقد تأكد أن هذا التحقيق سيرهقه كثيرًا، ابتعد عن مقعده محاولًا الاقتراب منها لينتفض جسدها وتتراجع إلى الخلف صارخة.. وقف في ثباتٍ ثم رفع يده أمامه قائلًا:

- اهدي.. اهدي مفيش حاجة.. أنا بس هساعدك تقعدي.. اهدي ما تخافيش.

لم تهدأ، وزاد لهاثها قائلة:

- ابعد عني.. هاقتلك لو قربت تاني.

هل قامت بتهديده للتو بالقتل؟ ما تلك المعتوهة؟! ارتفع أحد حاجبيه في استنكارٍ حين هبطت يده لتستقر بجواره محاولًا كظم غيظه...

- أستاذة (سديم).. انتي سامعة بتقولي ايه وفين؟!

ارتعش صوتها هامسة:

- عاوز مني ايه تاني؟ عاوز ايه يا (فضل)؟

وقف الضابط عدة ثوانٍ محاولًا استيعاب الموقف.. (فضل)! ألم يكن هذا اسم الرجل الذي قتلته؟!

ازدرد لعابه ثم حاول تهدئتها مرة أخرى قائلًا:

- أستاذة (سديم)... (فضل) مات.. انتي هنا في القسم.. أستاذة (سديم)!!

لم يتحسن الوضع إطلاقًا بل ازداد سوءًا حين فقدت القدرة على التقاط أنفاسها، وقد ظهر هذا جليًّا عندما علت شهقاتها، لم تقوَ قدماها على الصمود أكثر لتنهار أرضًا جاثية لعدة ثوانٍ بينما هرول إليها الضابط صارخًا، فدلف الحارس ليأمره قائلًا:

- محتاجين دكتور بسرعة.

اقترب أكثر ليحطم ما تبقى لها من قوة بينما تفترش الأرض في حالة غيابٍ عن الوعي مرة أخرى، أمسك بكتفيها محاولًا إنقاذها ليشعر بهذا السائل المتدفق منها، نظر إلى قطرات الدم على يده، فرفع يده محاولًا إقصاء شعرها عن كتفها ليتضح هذا الجرح الغائر بين كتفها وعنقها، تركها ثم خرج من الغرفة ليأمر الحارس بطلب عربة

إسعاف.. قبل أن تصل عربة الإسعاف، هرول المسعفون إلى مكتب الضابط لحمل تلك العروس المنكوبة ونقلها إلى المشفى..

مر اليوم بل مرت تلك الليلة العصيبة على الجميع حتى أشرق نهار يومٍ جديد، لا يعلم تفاصيله أو ما قد يمر على الرؤوس فيه غير رب العالمين، وفي هذا القسم حيث غرفة مكتب الضابط، كان يجلس على مقعده ناظرًا إلى تلك البقعة التي في الأرض، يتذكر دماءها السائلة التي تجمعت لتترك هذا الأثر بينما يفكر في أمرها.. هل فعلًا ترى هلاوس بصرية؟ ماذا حدث لتصبح بتلك الهيئة؟!

قطع حبل أفكاره صوت طرقات الباب ليأذن للطارق بالدخول، فيدلف الحارس قائلًا:

- الشهود حضروا يا فندم.. أدخل مين الأول؟

تنهد الضابط ثم أومأ حين وقف استعدادًا لمعركةٍ من الأقوال والروايات التي سيسمعها من هؤلاء البشر.. روايات قد تكون صادقة، وقد تحمل كذبًا وبهتانًا عظيمًا.. لكن يثيره حقًّا أن الضحية والقاتل من عائلة واحدة! ترى من سينحاز إلى من؟! في معظم حالات القتل التي تحدث هنا، يكون طرف من عائلة بينما الطرف الثاني من عائلة معادية، وهنا تكون بداية لعنة الثأر التي يذهب إثرها الكثير من الدماء الطاهرة التي لا ذنب لها سوى أنها وُلدت لتلك العائلة.. أما

في تلك القضية؛ ترى ماذا سيكون الوضع؟ وماذا ستؤول إليه الأمور في آخر المطاف؟! خرج من شروده حين دخل الشاهد الأول بينما تبدأ مهمته في الاستماع وتوجيه الأسئلة، ومع خروج آخر شاهد، وقف الضابط أمام مكتبه في القسم ناظرًا إلى التقرير الذي كتبه بعدما قام باستجواب كل الحاضرين وقت الجريمة، وكما توقع، فقد تباينت الأقوال، هناك من يسوغ فعلتها، ومن يجرمها.. لكن لفت نظره أن الجميع قد اتفق على شيءٍ واحدٍ، وهو أن هذا الشخص الذي يدعى (فضل) يتسم بالخبث، تذكر شهادة ابنة عمته التي ذكرت ما كانت تراه خلسة من لمساته لجسد (سديم).. كما أن هناك الكثير ممن أقر بتلك الحقيقة.. لكن السؤال هنا؛ هل حدث هذا بإرادتها كما ادعى البعض أم رغمًا عنها كما رأى البعض الآخر؟

ظل هذا لغزًا يزعجه.. لا يوجد مسوغ مقنع لأن يعتدي هذا الخطيب على من ستصبح زوجته بعد بضع دقائق، انتشل الضابط من تفكيره في هذا اللغز، صوت طرقات الباب ليدلف الشرطي الذي أخبره بحضور شاهدٍ آخر.. قطب الضابط جبينه ثم أمر الحارس أن يدخله.. دخل هذا الشاب الأنيق ذو المظهر المتحضر قائلًا:

- السلام عليكم.. مع حضرتك بشمهندس (سفيان).

نظر الضابط إلى يده الممتدة في الهواء لتمتد يده أيضًا في مصافحةٍ

ودية قائلًا:

- أهلًا بيك يا بشمهندس.. اتفضل.

حدق إليه الضابط ليفكر؛ هل شاهده في حفل الزفاف التعيس؟ لا.. لم يره، لم يُكتب هذا الاسم في قائمة الشهود.. ثم قال:

- معلش يا بشمهندس، بس انا مش شايف اسمك ضمن الشهود.. انت ما كنتش موجود.. صح؟

- دي حقيقة، أنا تم تبليغي انه حصل الشيء البشع دا، بس كان لازم اجي واقول كل حاجة اعرفها عنها.. أقصد عنهم.

- ودا بصفتك ايه؟ صديق مثلًا؟

ازدرد (سفيان) لعابه وقد شعر بغصة في حلقه ثم قال:

- أنا خطيب (سديم).. السابق.

قطب الضابط جبينه ليستمع إلى (سفيان) الذي أردف قائلًا:

- (سديم) وانا كنا خلاص هنتجوز خلال مدة قليلة.. لكن والدتها تعبت تعب شديد، الله يرحمها، وكان لازم مبلغ كبير عشان العملية بتاعتها، وهي كان ليها ميراث والدها الله يرحمه، لكن اللي حصل انهم منعوها من الميراث.

قطب الضابط جبينه في دهشةٍ قائلًا:

- ازاي يعني؟! كان ممكن ترفع عليهم قضية!

- هي بالفعل فكرت في دا، وراحت كلمت محامي لكن لقت تكاليف المحامي والقضية عالية، وهي أصلًا كانت في وقت صعب، محتاجة كل قرش معاها، وكمان عمها كان عامل حاجة صعب تقدر تاخد حقها بسببها.

- ايه هي؟ ممكن اعرف؟

- عمها بصم والدها على بيع كل حاجة ساعة تعبه، وطبعًا مفيش مقابل للبيع دا، وقالها اثبتي في المحاكم لو تقدري.

أومأ الضابط محدقًا إلى (سفيان) ليسأله قائلًا:

- بشمهندس (سفيان).. انت عرفت بالحادثة ازاي؟

- بنت عمتها كانت مقربة ليها، ولما كنا مخطوبين كانت بتتواصل معانا كتير، وعارفة رقمي، ولما حصل إلى حصل، فكرت اني لازم اعرف.

- طيب تفتكر ممكن تكون قتلته انتقام منه مثلًا على كل اللي مرت بيه على حسب ما حكيت لي انت؟

أومأ (سفيان) قائلًا:

-لا معتقدش أبدًا.. متبقاش (سديم) اللي خطبتها لأزيد من سنة! ثم...

بتر (سفيان) كلامه وقد غزت حمرة الغضب وجهه ليحثه الضابط على إكمال جملته قائلًا:

- ثم ايه؟ كمل.

- يعني.. حسب ما فهمت من (فاطمة) بنت عمتها لما كلمتني، ان كان في آثار على...

- تقصد آثار الاعتداء الجسدي؟

أومأ (سفيان) حين قبض يده محاولًا كظم غيظه وكبح جماح غضبه..

- هو فعلًا كان في جروح على جسمها لكن لسه مطلعش تقرير يفيد ايه سببها.. لما النيابة تقرر تعرضها على الطب الشرعي ويكتب التقرير، ساعتها هنعرف كل شيء، لكن دا مينفيش احتمال الانتقام اللي انا قلته، ولا انت ايه رأيك؟

- معتقدش.. (سديم) اللي انا اعرفها مستحيل تعمل كدا.. ثم كانت (سديم) لسه مكلماني قبلها بساعات.

انتبه الضابط إلى كلامه ليسأل في دهشةٍ قائلًا:

- كلمتك يوم فرحها؟!

ازدرد (سفيان) لعابه ثم أومأ قائلًا:

- كانت في حالة صعبة، وبتفكر تهرب من الفرح.

اتكأ الضابط على مقعده، وقد اتضحت الرؤية أمامه، أخيرًا وجد سببًا مقنعًا لما حدث، فأومأ حين سجل الكاتب كل شيءٍ ثم سار بين طرقات القسم ليفكر في جرائم القتل والسرقة والاغتصاب التي

يفعلها البشر.. ثم ذهب إلى سيارته ليضع أوراق القضية بجواره، وقد قرر تحويلها إلى النيابة لكن يجب أولًا أن يراها ليوجه إليها بعض الأسئلة..

هناك أصوات بعيدة تخترق مسمعها، وكأنها تسبح تحت المياه بينما يخترق الصوت المياه ليصل إلى أذنيها دون أن تميز حروفه.. حاولت (سديم) فتح عينيها لكن شعرت بأثقالٍ من حديدٍ صلب، تجبر جفونها على أن تبقى على حالها، ارتعشت أصابع يدها حين اقترب منها الطبيب ليقيس مؤشراتها الحيوية، وبعد مرور عدة ثوانٍ، استطاعت أخيرًا التغلب على تلك الأثقال لترتجف جفونها ثم فتحت عينيها ناظرةً حولها، تحاول النهوض لكن يعيق حركتها تلك القيود التي تكبل يديها في هذا الفراش الحديدي لتستلقي في استسلامٍ محدقة إلى سقف الغرفة بينما يقف الطبيب وخلفه الضابط وشرطيان من أجل الحراسة.. نظر الضابط إليها حين سأل الطبيب قائلًا:

- حالتها تسمح اننا ناخدها دلوقتي؟

ارتدى الطبيب نظارته الطبية قائلًا:

- للأسف صعب، هي في حالة من الانهيار العصبي، لازم تكون تحت الرعاية على الأقل لمدة يوم عشان نعرف تقدروا تاخدوها ولا لأ.

أومأ الضابط ناظرًا إلى تلك الكدمات في ذراعها بينما تظهر تلك

الضمادة الكبيرة عند عنقها، وقد جاورها بعض الجروح عند كتفها حيث تم تمزيق ردائها، وقد تناثرت خصلات شعرها حول عنقها..

عند هذا الحد، نظر إلى الطبيب قائلًا:

- قدرتوا تعرفوا ايه سبب الجروح دي؟

ابتلع الطبيب لعابه قائلًا:

- الجرح كان سببه مراية لأن كان في بقايا زجاج في الجرح لكن بشكل مجمل.. أعتقد انها آثار اعتداء جسدي، هيبان كل دا من خلال الكشف، دا إذا أمر وكيل النيابة إحالتها للطب الشرعي زي مانت عارف.

أومأ الضابط ناظرًا إلى الطبيب ثم نظر إليها حين اقترب الطبيب منها ليقوم بقياس مؤشراتها الحيوية محاولًا معرفة مقدار الاستجابة لديها حين نطق اسمها في سؤالٍ لكن دون جدوى.. لم يتغير شيء حتى بؤبؤ عينيها ما زال على حالته المرتعشة كأنه قد شاهد ما لا يمكن تحمله.. أومأ الطبيب ليخبر الضابط أنه لا يمكن التحدث معها الآن، فأومأ الضابط عائدًا أدراجه..

بعد مرور بضع ساعات، شعرت بالدهشة لتحدث نفسها متسائلة: لماذا ترتدي فستان الزفاف حتى الآن؟! وما هذا الدم المتناثر على أطرافه؟!

وفي مكانٍ آخر حيث يجلس وكيل النيابة في غرفته، سمع طرقات الباب ليأذن للطارق بالدخول، فدلف الضابط قائلًا:

- مساء الخير يا فندم.

- أهلًا رائد (طارق).. فينك مختفي بقالك مدة؟

- والله مزنوق في دهاليز قضية، وجاي اسلمها لك بنفسي واتمنى يكون عندك وقت نتناقش سوا فيها.

رفع وكيل النيابة حاجبه في دهشة حين تناول تلك الأوراق من يد الضابط، وبدأ بفحصها.. مر بضع دقائق ثم قطب جبينه في ذهولٍ قائلًا:

-طيب مستجوبتهاش لسه ليه؟! مش فاقت في المستشفى؟!

- حصل يا فندم، وحاولت استجوبها لكن وضعها مكانش مستقر على حسب كلام الدكتور انها فى حالة من الانهيار العصبي لكن...

- لكن ايه؟

- لما جت القسم، وفي بداية استجوابي ليها، كانت فاكراني (فضل) القتيل يا فندم!

ارتفع حاجب وكيل النيابة ليردف الضابط قائلًا:

- في الأول لما كانت بتترعش، قلت فاقت وأدركت اللي عملته أو أي حاجة.. لكن اتضح انها كانت خايفة مني ولاقيتها بتوجه لي تهديد

صريح بالقتل على اني (فضل).. بصراحة معرفتش اعمل ايه وملحقتش اعمل حاجة لأن ساعتها وقعت، وطبعًا اضطريت اجيب الإسعاف علشان نزيفها أولًا، وعشان يفوقوها يمكن نعرف نستجوبها.

أومأ وكيل النيابة قائلًا:

- هو بالوضع دا، لازم الأول يتم عرضها على الطب الشرعي، ونستدعي طبيب نفسي يقيم حالتها في الوقت الحالي.

ثم حدق إلى الأوراق أمامه ليبدأ بترتيب الشهود كي يوجه إليهم الأسئلة مرة أخرى.. أما عن (سديم) فقد قرر عرضها على طبيب أمراضٍ نفسية وعصبية..

*****

مر اليوم وأشرق صباح يومٍ جديد، وهنا في هذا المشفى، وخصوصًا تلك الغرفة التي تسكنها (سديم) مقيدة بالأصفاد، دلف الطبيب مرة أخرى لكن برفقة عدد من الممرضات وطبيب آخر.. أجل إنه الطبيب الموكل من الطب الشرعي، بعد أن صدر أمر وكيل النيابة، جاء الطبيبان لفحص جروح جسدها الخارجية، والتحقق من وجود جروح داخلية!

كان الأمر يشبه فحص جثةٍ هامدة.. لم تشعر بشيءٍ كأن روحها قد انسلخت عن جسدها، نزعت الممرضات ملابسها لترتدي ملابس المشفى، ويتم هذا الفحص.. لم تشعر بيد الطبيب حين فحص تلك الكدمات الظاهرية والداخلية.. أغمض الطبيب المختص عينيه حينما تأكد من الأمر ثم تنهد حين قام بتغطية جسدها ليزيل قفازيه ويلقيهما غاضبًا في سلة المهملات.. قطب جبينه ناظرًا إليها بينما حدق الطبيب المباشر إليها في أسف، وأومأ ليؤكد حالة الاعتداء الجنسي ثم وجه حديثه إلى الممرضة التي تقف بجواره قائلًا:

- اديها باسط عضلات، وغيري المحلول، كمان غيري على الجروح

اللي على كتفها، وطهري الجروح اللي...

صمت الطبيب لينتقي كلماته، تمر تلك الحالات عليه كثيرًا منذ أن بدأ ممارسة تلك المهنة لكن تلك المرة يشعر بالحنق دون أن يدري! لا يستطيع أن يصف تلك الجروح التي تثبت انتهاك آدميتها.. جروح جهازها التناسلي!!

ثم اكتفى بالإشارة لتفقه الممرضة ما يرغب في إخبارها به، فتنظر في حزنٍ إلى حال العروس المنكوبة.. غادر الطبيبان بينما بدأت الممرضات عملهن وما طلبه الطبيب منهن..

مر الفحص لتستلقي (سديم) على هذا الفراش المقيدة به، وقد ارتخى جسدها حين سمعت همهمات الممرضات عنها لكنها لم تستطع أن تنبس ببنت شفة، ترغب في إخبارهن أنها ليست مذنبة بل أجبرها الجميع على ارتكاب هذا الجرم.. إنها مظلومة لكنها لا تستطيع فعل أي شيءٍ سوى الاستلقاء والصمت!

مر بضع ساعات، ولم يهدأ عقلها حيث أدخلها في دروب الذكريات مع والدتها (عايدة) التي كانت ترتدي هذا الوشاح الأبيض بينما تجلس وقت صلاة الفجر على مقعدها المفضل بجوار النافذة ناظرةً إلى شروق الشمس لتذكر الله حين أمسكت بتلك المسبحة الطويلة، وعندما ترى خيوط أشعة الشمس، تقوم بفتح النافذة لاستقبالها كي

تجلس في انتظار أن تحتويها بدفئها.

تقف (سديم).. تتكئ على باب غرفتها كل يوم بضع دقائق لتراقب تلك الهالة المرسومة بفعل أشعة الشمس حول وجه والدتها، فتظهر بمظهر ملائكي، يعزف على أوتار قلب من يراقبها في صمتٍ ليبتسم ابتسامة حالمة مثلما يحدث كل يوم.. لكن لم تكن (سديم) وحدها من تراقبها بل والدها أيضًا الذي يجلس على مقعده المتحرك ليحركه في بطءٍ محدقًا إلى من ملكت قلبه وترك كل شيءٍ من أجلها، أوقف عجلات مقعده بجوار مقعدها لتلتفت إليه (عايدة) مبتسمة لتنير الكون في عيني (عبد الله) زوجها كما تنير الشمس السماء الآن.. أرهفت (سديم) السمع، تنتظر الجملة التي تسمعها خلسة كل صباح، جملة تصدر من فم (عايدة) في دفءٍ قائلة:

- يسعد صباحك يا حلو.

لتبتسم حينها (سديم) حينما ترى أباها يقترب من والدتها ليقبل جبينها، فتتساءل محدثة نفسها: «هل ستصبح يومًا هكذا مع عزيزها (سفيان)؟ هل ستتلقى منه قبلة الصباح بتلك الطريقة قبل أن يراقبها بضع دقائق في شغفٍ كما يفعل أبوها كل يوم؟

تنهدت (سديم) لتنبههما إلى وجودها ثم اقتربت منهما قائلة:

- بتعملوا ايه يا حلوين؟

ضحكت الأم قائلة:

- اختشي يا بنت، صاحية متأخر وكمان بتتلامضي!

- والله ما حصل، أنا صاحية من بدري، وجهزت وهانزل كمان، بس قلت أصبح على أجمل ست في الدنيا، مش كدا يا بابا برده ولا ايه؟!

ابتسم (عبد الله) في صمتٍ ثم أومأ قائلًا:

- كدا طبعًا.. أجمل وأحلى منك انتي شخصيًّا.

عقدت (سديم) حاجبيها، فضحك والدها لتقول:

- وانا مفيش يسعد صباحك يا حلو ليا؟

ضحكت (عايدة) قائلة:

- يسعد صباحك يا قلبي، ويجعله صباح دافي بكل ما فيه.

انحنت (سديم) لتقبل يد والدتها قائلة:

- مش أدفى من قلبك، وبمناسبة قلبك الدافي الكبير، مش هناخد الدوا بقا ولا ايه؟

- أهو من كبره تعبني!

بدا الألم في عيني (سديم) حين تذكرت كلام الطبيب الذي حذرها بشأن عضلة القلب المتضخمة، ويجب أن يتم التدخل الجراحي في أقرب وقتٍ ممكن، لكن كيف؟! ومن أين لها بتلك النقود؟!

تنهدت (سديم) ثم رسمت تلك الابتسامة المطمئنة حين أمسكت بعلبة

الدواء لتقدمها إلى والدتها قائلة:

- لو مكانش كبير وجميل، مكانش استحملني، لا انا ولا بابا، ولا ايه رأيك يا بابا؟

حدق إليهما (عبد اللّه) قائلًا:

- باحمد ربنا ألف مرة عليه يا غالية.

ابتسمت (عايدة) وقد شاب وجنتيها حمرة الخجل قائلة:

- ياه يا (عبد اللّه).. كبرنا بقا!

ضحكت (سديم) ثم اعتراها شعور الخوف من فقدان والدتها..

أخرجها من دوامة ذكرياتها، دخول الطبيب ومعه الضابط مرة أخرى لكن هذه المرة هناك شخص جديد.. وقف محدقًا إليها ثم اقترب من الفراش ليجلس على حافته قائلًا:

- ازيك يا أستاذة (سديم).

لم تجب، فعاد إلى حديثه قائلًا:

-أنا المحامي بتاعك، جيت بناءً على رغبة بشمهندس (سفيان).

خفق قلبها حين ذكر هذا الاسم.. (سفيان) الذي اعتادت ترديده وشعرت أنه يخرج من أعماق روحها.. أجل لقد عشقته لكن لم يشأ القدر أن يجمعهما سويًّا!

كانت كالجماد، لا تحرك ساكنًا، فتحدث الضابط قائلًا:

- لسه زي ما هي! والعمل؟ احنا محتاجين نستجوبها.

نظر إليه الطبيب قائلًا:

- أعتقد اننا محتاجين طبيب أمراض نفسية وعصبية يا فندم.

أجاب المحامي قائلًا:

- فعلًا أنا باطلب عرضها على دكتور أمراض نفسية وعصبية لأن الوضع دا ما يدلش على أنها طبيعية، وحسب ما فهمت من بشمهندس (سفيان) إنها كانت بتزور معالجة نفسية بالفعل، هنحتاج شهادتها أكيد.

زفر الضابط ثم أومأ قائلًا:

- النيابة بالفعل أمرت بعرضها على طبيب نفسي، وأكيد هناخد بشهادة المعالجة، ونحطها بعين الاعتبار.

ثم نظر إلى الطبيب قائلًا:

- وأخبار تقرير الطب الشرعي الخاص بيها ايه؟

قطب الطبيب جبينه ناظرًا إليها ثم نظر إلى الضابط مرة أخرى قائلًا في حنق:

- انت أدرى الناس انه بياخد وقت، ومش اختصاصي اني اكتبه، أنا موجود كطبيب مختص بالحالة.

- أكيد فاهم يا دكتور، أنا بس حابب اعرف الصورة كاملة لحد ما

يطلع التقرير ونبعته للنيابة ويقروه بكل تفاصيله.

أومأ الطبيب قائلًا:

- من الكشف المبدئي.. في اعتداء للأسف.

بدا شبح ابتسامة على وجه المحامي لكنه اختفى حين نظر إليه الضابط، وقد ارتفع حاجبه في دهشةٍ قائلًا:

- هيعتدي عليها في ليلة دخلتهم؟! مش قادر يستنى كتب الكتاب يعني؟!

أجاب المحامي قائلًا:

- مين عارف؟! أكيد في أسباب للجريمة، وهنعرفها من التحقيقات بالطبع، وحسب اللي فهمته ان موكلتي كانت مجبرة على الزيجة دي يا فندم.

تساءل الضابط في دهشةٍ قائلًا:

- قلت لي اسم حضرتك ايه؟

- أستاذ (أشرف).. محامي الأستاذة (سديم).

- ومين وكل حضرتك؟ على حسب علمي محدش من عيلتها وكلها محامي.

سعل المحامي حين وقف أمام الضابط قائلًا:

-موكل من قبل بشمهندس (سفيان) يا فندم.

- آه قلت لي (سفيان).

نظر الضابط إلى (سديم) المستلقية قائلًا:

-هو بالفعل جه واستجوبناه، واستجوبنا كل اللى كانوا موجودين في اليوم دا.

(الموجودين).. ترددت هذه الكلمة في أذني (سديم) حين لاح هذا التساؤل في عقلها.. من يقصد بهذه الكلمة؟! من كان موجودًا حين اشتد مرض والدها وتم حجزه في المشفى لأسابيع؟! حين كانت تنام بجوار باب المشفى حيث لا يمكنها حجز غرفة خاصة بل لا يمكنها دفع نفقات العلاج!

من كان موجودًا حين كان ملقى في غرفة العناية المركزة لليالٍ بينما وهن جسده منذ أن وهنت روحه لغدر أقرب الناس إليه.. لم يوجد أحد عندما عانى وحيدًا من تلك الجلطات التي أصابت جسده جراء صدماته المتكررة.. لقد جلست على أحد الأرصفة بجوار تلك البوابة الكبيرة للمشفى الحكومي، في وضع الجنين كأنها تحتضن نفسها في محاولةٍ لبث الطمأنينة وحماية نفسها من البرد.. تنتظر بزوغ الشمس حتى يحين موعد الزيارات، فتدلف إلى والدها لتراه في أسوأ حال.. عمن يتحدث هؤلاء؟ هل يتحدثون عن عمها (عبد الحكيم)؟ هل كان موجودًا؟ أجل، كان موجودًا ليظلم ويسيء.. بحثت في دروب ذكرياتها

علها تجده يومًا أثناء مرض والدها.. لكن مهلًا، لقد كان هناك حين اشتد المرض وعلموا ألا ملجأ لهم غير الدعاء.. زارهم في المنزل، فاستقبلته في دهشةٍ لكنها انقشعت سريعًا لتبتسم قائلة:

- عمي.. أهلًا بحضرتك.. اتفضل.

وقف (عبد الحكيم) محدقًا إليها بينما كان الجمود يسيطر على ملامحه، أمسك طرفي عباءته ليدلف قائلًا:

-أهلًا بيكي يا بنت اخوي.. ازيك وازي (عبد الله)؟

ارتعشت ابتسامتها في حزنٍ قائلة:

-الحمد لله على كل حال يا عمو.

ثم حدقت إلى عمها الذي يجوب المنزل القديم الصغير بعينيه لتقطع هذا الصمت قائلة:

- وحشتنا أوى يا عمو، بابا سأل على حضرتك كتير.. بس للأسف ما كنتش عارفة أوصل لحضرتك.

نظر إليها (عبد الحكيم) قائلًا:

- أنا كمان توحشتكم رغم اللي فات.

ارتجف جفون (سديم).. «ما فات قد مات» تلك مقولة رائجة لكن في عائلة (السوالمة) ما فات لم ولن يموت أبدًا.. لن يحاولوا نسيان رفضها الزواج بابنهم البكر (فضل).. كم تألمت لأنها سبب تلك

القطيعة.. لكن قلبها ومشاعرها تتجه إلى (سفيان).. نظرت إلى خاتم الخطبة قائلة:

- ثواني هبلغ ماما ان حضرتك هنا.

- (عبد اللّٰه) فايق؟

تنهدت (سديم) قائلة:

- للأسف الدوا بيخليه معظم الوقت غايب لكن ممكن يكون فايق شويه دلوقتي.. ثواني وهتشوفه، تشرب ايه يا عمي؟

- قهوة.. قهوة سادة.

أومأت (سديم) حين دلف (عبد الحكيم) إلى الغرفة التي يقبع فيها والدها ثم ذهبت لتخبر والدتها بوجوده بعد نزاعٍ دام طويلًا..

نظر (عبد الحكيم) إلى أخيه الصغير المستلقي على فراش المرض ثم تقدم إليه ناظرًا إلى هذا التغيير الذي طرأ على ملامحه، أصبح يحمل ملامح والدهما حين اقترب من الرحيل والانتقال إلى دار الحق، هل كان وجوده اليوم مناسبًا؟ ازدرد لعابه حين اقترب من الفراش ليجلس بجوار أخيه الصغير بينما تمتد يده لتلمس يد أخيه ثم دخلت (عايدة) لتتراجع يد (عبد الحكيم) قائلًا:

- ازيك يا حاجة.. ألف سلامة عليه.

أومأت (عايدة) ثم اقتربت لتجلس على هذا المقعد بجوار الفراش،

وبعد مرور بضع دقائق، جلس (عبد الحكيم) هو الآخر بجوار فراش (عبد اللّٰه).

- ألف سلامة عليك يا خوي.

ابتسمت (عايدة) قائلة:

- تسلم يا حاج (عبد الحكيم).. ما نجيلكش في يوم وحش أبدًا.

- تسلمي يا حاجة.. الدكاترة قالولكم...

أومأت (عايدة) قائلة:

- ندعي... وادينا بندعي يا حاج.

- ربنا الشافي.. يشفي كل مريض.

- آمين.

صمت مطبق دام بضع ثوانٍ قبل أن يكسره (عبد الحكيم) قائلًا:

- مش لو كنا اخترنا طريق تاني.. كنا زمانا مع بعضنا في الأزمة دي، شايلين وساندين بعض، بدل ما انتم لوحدكم نسوان متلطمين من غير سند!

ارتعشت جفون (سديم) غاضبة بينما قالت (عايدة) في ثبات:

- ربنا يحفظ لنا سندنا يا حاج.. ثم احنا معانا سند أقوى.. معانا رب العالمين، ما بينساش عباده يا حاج، ولا ايه؟

أومأ الحاج (عبد الحكيم) ليردد قائلًا:

-آمين.

مر بضع دقائق من الصمت، يتخلله بعض الدعاء ليقطعه صوت تأوه (عبد اللّه) وقد عاد إلى وعيه.. اقترب (عبد الحكيم) من أخيه، وامتدت يده ليمسك بيد أخيه قائلًا:

- سلامتك ياخوي.. ألف سلامة عليك.

خرج صوت (عبد اللّه) الضعيف حين تمتم باسم أخيه في وهن.. ضاق صدر (عايدة) حين تذكرت قوله تعالى في قصة سيدنا (موسى): «سنشد عضدك بأخيك» راجية أن يلين قلب (عبد الحكيم) ليصبح مصدر قوةٍ لأخيه.. أغمضت عينيها وقد شعرت بهذا الألم يخترق صدرها، استأذنت لجلب القهوة، فخرجت خلفها (سديم) قائلة في غضب:

- هو الراجل دا مش هيبطل قلة ذوق؟! ازاي يقول كدا وقدام بابا كمان؟! أنا ما شفتش كدا ولا هاشوف!

- وطي صوتك يا (سديم).. مهما كان ضيف في بيتنا.

- ضيف تقيل ومش مرحب بيه، كل شويه يفتح في اللي كان، هو ايه ما بيزهقش؟! أنا مش عاوزة ابنه وخلاص خلصنا، واتخطبت بالفعل.. عاوز ايه تاني بقا؟!!

- خلاص خلصنا يا (سديم).. خدي القهوة اديهاله، أنا مش هاقدر

اكون معاه في قاعدة واحدة تاني، قلبى مش مستحمل مناهدة.. خديله القهوة.

نظرت (سديم) إلى والدتها قائلة:

- انتي كويسه؟ اكيد نسيتي الدوا تاني!

- أنا كويسه، ما تقلقيش، هارتاح في أوضتي شويه لحد ما الأذان يأذن واصلي واجي اقعد معاكو.

- متأكدة؟

- متأكدة.. روحي بقا ما ينفعش تسيبي ابوكي لوحده كدا، والراجل يقول ايه؟ يلا روحي قدمي القهوة.

اتجهت (سديم) إلى غرفة والدها.. ثم أمسكت مقبض الباب لتسمع صوت (عبد الحكيم) قائلًا:

- أنا آسف يا خوي.

اغرورقت عيناها بالدموع ثم لاحت ابتسامة على شفتيها لكنها اختفت سريعًا.. لم يكن اعتذارًا عن قساوته السابقة بل كان عن شيءٍ آخر!

- آسف اني مش هانفذ اللي انت عاوزه.. مش هاقدر يا خوي، انت عارف حياتنا ما بتمشيش كده.. عشان كدا كنت عاوز احمي بنتك ومراتك وادخلهم وسطينا، وانت اللي رفضت الرابط دا يا خوي.. سمعت لبنتك وامها وما عملتش حساب يوم زي دا.. أنا آسف يا ولد

بوي.

فتحت الباب في عنفٍ لتسقط يد (عبد الله) من يد أخيه، وقد تلوثت أصابعه بحبرٍ أزرق اللون.. نظرت (سديم) إلى عمها الذي وضع ورقةً ما في جيب جلبابه حين وقف أمامها.. اتسعت عيناها لتسقط الصحفة من يدها راكضة نحو أبيها لتطمئن عليه، أمسكت بيده لتقبلها باكية، نظرت إلى يد والدها الزرقاء بفعل الحبر لتحدق إلى عمها قائلة في غضب:

- انت عملت ايه؟! قول عملت ايه في اخوك؟! مش مكفيك اللي عيشتنا فيه المدة اللي فاتت؟! عاوز ايه تاني؟ خليته يسيب العيلة والشغل وكل حاجة، عاوزه يسيب ايه تاني؟ عاوز مننا ايه تاني؟!

- لولا اني عارف ان (عبد الله) تعب وحاول يربيكي، كنت عاتبت اخوي على رบايته.

- رบايته هي اللي خلتني استقبلك بعد اللي عملته فينا.. قول انت عملت ايه؟ هات الورقة دي، وريني خليته يبصم على ايه.

حاولت (سديم) الانقضاض على عمها لأخذ ما يخفيه لكن ضآلتها أمامه لم تسعفها ليلقي بها (عبد الحكيم) أرضًا بعدما تلقت منه صفعة، أفقدتها توازنها بضع ثوانٍ ثم خرج من الغرفة.. اصطدم بـ (عايدة) التي تقف خارج الغرفة لتقول:

- واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله.. حسبي الله ونعم الوكيل.

ازدرد لعابه ثم سار حتى وصل إلى تلك البوابة العتيقة ليفتحها ويخرج بلا رجعة..

جلست (سديم) أرضًا بجوار فراش والدها، وقد غزا الألم رأسها جراء تلك الصفعة بينما جلست والدتها على أحد المقاعد خارج الغرفة، تردد قائلة:

-حسبي الله ونعم الوكيل.

خيم الصمت على جميع أرجاء المنزل، فلم يصدر إلا هذا الصوت الضعيف الرتيب لدقات عقارب الساعة.. قطع هذا الصمت، صوت طرقات الباب ثم صوت عزيزها (سفيان).. حدقت (سديم) إلى وجه والدها لتهبط دمعة، قد شقت طريقها إلى بشرته المجعدة لتستقر على وسادته، شعرت بالانكسار، لا تستطيع الدفاع عن نفسها أو أسرتها حتى أنها تلقت صفعة أمام عيني والدها الذي لم يستطع حماية صغيرته، خرجت لتقابل أمها التي حذرتها بنظراتها كي تصمت ولا تخبر خطيبها.. أغمضت (سديم) عينيها، وقد تمكن القهر من روحها ثم اتجهت إلى الباب لتلتقي تلك الملامح الدافئة.. قطب جبينه قائلًا:

- ايه دا؟ مال وشك؟!

ارتجفت لتبتسم قائلة:

- ها؟.. انت عارف بشرتي بتحمر من أقل حاجة.. كنت باجرب كريم وطلع بيعملي حساسية، بس مش أكتر.

لاحت ابتسامة على شفتيه حين حدق إليها قائلًا:

- انتي جميلة من غير أي حاجة.

ثم عقد حاجبيه ليردف قائلًا:

- تليفونك مغلق بقاله كام يوم ليه يا هانم؟!

صمتت قليلًا ثم ابتسمت قائلة:

- مش هتصدق اللي حصل.. ادخل بس وهاحكي لك كل حاجة.. مش هينفع تقف كدا.

دلف (سفيان) لتقول (عايدة) مبتسمة:

- ازيك يابني.. عمك سأل عليك كتير اليومين اللي فاتو.

اعتذر قائلًا:

- أنا آسف والله يا ماما (عايدة).. (سديم) مقالتليش أي حاجة للأسف، وحاولت اتصل بيها كتير لكن موبايلها مغلق دايمًا.

تحدثت (سديم) قائلة:

- الموبايل وقع واتكسر، وديته للصيانة.. عشان كدا مغلق، إن شاء الله لما يجي هعرفك، آسفة اني ما قلتلكش.

أومأت (عايدة) – حين حدق (سفيان) في قلقٍ إلى (سديم) إذ لاحظ ارتباكها – ثم قالت:

– عمومًا نورتنا يا ابني.. اتفضل لحد ما اشوف (عبد الله) واجيلكم تاني.

أومأ (سفيان) ثم حدق إلى (سديم) التي حاولت الهروب قائلة:

– أعملك عصير؟

– في ايه يا (سديم)؟! متغيرة ومرتبكة! ومش أول مرة أشوفك كدا.. أنا ما بقتش فاهم! وايه حكاية موبايلك اللي في الصيانة دا كمان؟ من امتى مش بتعرفيني حاجة عنك! وتسيبيني بالأيام من غير تواصل.. داحنا مكانش يفوت يوم إلا ونكون مكلمين بعض بالتلت أربع ساعات!

– (سفيان).. حقيقي مش وقت لوم وعتاب، انت شايف اللي انا فيه كويس.

– وعشان شايف وعارف، وعشان الطبيعي اننا شركا ولازم نستحمل ونشيل بعض، لازم تشاركيني في اللي بيحصلك، ما ينفعش تعيشي همومك لوحدك وتسيبينى قلقان عليكي باستمرار.

حدقت (سديم) إلى عينيه الدافئتين، فشعرت بالارتباك والتخبط ثم اقتربت منه لتلمس وجنته قائلة:

- قد ايه بارتاح لمجرد التفكير في انك جنبي وحاسس بيا.. ربنا ما يحرمنيش منك أبدًا.

أمسك (سفيان) كفها ليقربه إلى فمه ويقبله في رفق.. قطع تلك اللحظات صوت صراخ (عايدة) لتستغيث بـ (سديم).. هرول كلاهما إلى الداخل ليجدا (عايدة) جالسة على الفراش بجوار زوجها، تبكي بينما تمسك يده الباردة لتضمها إلى صدرها وتطلق الآهات على فراق من أحبت.. نظرت (سديم) إلى وجه والدها الشاحب لتجد دمعة أخرى بل أخيرة، قد لاذت بالفرار من معتقل جفونه قبل أن تصعد الروح إلى خالقها.. لم تقوَ قدماها على حملها أكثر لتنهار أرضًا ناظرةً إلى أمها تارة، وإلى جثمان والدها تارة أخرى لتقع عيناها على أصابعه ذات اللون الأزرق بينما تحضنها (عايدة).. اقترب (سفيان) من (سديم) وقد جثا أرضًا ليمسك كتفيها ويقربها إلى حضنه راجيًا من الله الصبر.. فقالت (سديم) هامسة:

- (سفيان).. بابا.. بابا مات.

احتضنها ثم انحنى ليقبل رأسها حين ردد قائلًا:

-إنا لله وإنا إليه راجعون.

(سفيان) الحبيب.. أخرجها من دوامة الذكريات، ذكر اسمه مرة أخرى حين تحدث المحامي الذي جلس على حافة الفراش أمامها

قائلًا:

- أستاذة (سديم).. لو سمعاني أو قادرة تتواصلي معايا.. أرجوكي اديني أي إشارة.. أنا هنا عشان اساعدك.. بشمهندس (سفيان) عمل حاجات كتير جدًّا عشان اجيلك هنا واساعدك بعد ما عيلتك كلها رفضت تقوم أي محامي.. أرجوكي انا لازم افهم منك كل حاجة.

ما زال قلبه ينبض بحبها بعد أن أصبحت قاتلة! ولمَ لا؟! وقد قتلت من أجله بعد أن اقتلعوا من قلبها جذور عشقه، تذكرت دفء حضنه في ذلك اليوم الماطر حيث ركض الجميع في محاولةٍ للاحتماء بينما وقفت تحت زخات المطر، فاقتربت منها تلك السيارة المسرعة ليقوم أحدهم بجذب ذراعها إلى أن استقرت في حضنه الدافئ، شهقت وقد شل تفكيرها جراء الصدمة قبل أن تنتفض بين يديه صارخة:

-ايه دا؟! انت اتجننت؟! سيبني، سيبني باقولك!

حدق (سفيان) إلى عينيها قائلًا:

-اسيبك متأكدة؟

-انت مجنون؟ سيبني باقولك!

ابتسم (سفيان) قائلًا:

- حاضر أكيد.

حاول إفلات يدها ليختل توازنها، فتشبثت بمعطفه ليضحك ساخرًا

ثم قالت في حنق:

-انت مجنون؟! هتوقعني يا ذكي.. اسندني.

-مش قلتي اسيبك؟! اديني سيبتك.

نظرت إليه شزرًا قائلة:

-كنت اقصد تسيبني زي ما البشر الطبيعية تسند الناس وتسيبهم.. مش توقعني!

وقفت تنتظر الحافلة لتتذكر هذا المشهد الرومانسي في أحد الأفلام حين جذب البطل البطلة إلى حضنه لتفقد توازنها فتستلقي على إحدى ذراعيه بينما تتشبث بحضنه.. فابتسمت (سديم) ابتسامة حالمة، ذلك المشهد الذي عزف على أوتار قلبها كعزفها على أوتار الآلات الموسيقية في المعهد الذي تقوم بالتدريس فيه.. وكانت تلك المرة الأولى التي تنعم فيها (سديم) بدفء حضن (سفيان)..

عادت إلى الواقع مرة أخرى حين شعرت بيد الممرضة تثبت هذا المحلول في وريدها مرة أخرى بعد أن نفد الأول لتصبح وحيدة في الغرفة بعدما رحل الضابط والمحامي والطبيب، غادرت الممرضة ليتسلل هذا الصوت إلى مسمعها من خلال الباب، صوت المذياع الذي يصدح بأغنية (من حبي فيك يا جاري) ليفتح دربًا جديدًا في ذاكرتها حينما كانت في المعهد، تعزف تلك الأغنية على آلتها التي

تعشقها (البيانو).. لتطلق آهات تعبر عن تلك الأنغام الصادرة من هذا (البيانو) البني العملاق أمامها لتتحرك خصلات شعرها السوداء أسفل أشعة الشمس بجوار تلك النافذة العالية في أحد أركان ذلك الفصل الدراسي حيث كانت (سديم) تمارس عملها كمدرسة (بيانو).. تجلس أمامها الفتيات الصغيرات..

«هل يستمتعن بسحر موسيقاها وأدائها أم بسحر قلبها المرهف؟!»

هكذا تساءل (سفيان) حين راقبها في استسلامٍ من خلال باب الغرفة الدراسية لينتشي بتلك الموسيقى الساحرة.. توقفت أناملها حينما شعرت بتحديق أحدهم.. حاولت معرفة هوية هذا المتطفل لتشعر بالدهشة.. إنه هو! ذلك الشخص الذي أنقذها من زخات المطر.. إنه من شعرت في حضنه بالدفء.. حدقت إلى الطالبات أمامها لتركض إحداهن تجاهه ثم وقفت (سديم) قبل أن تخرج الفتاة برفقته قائلة:

- ثواني يا أستاذ.. مين حضرتك؟

رفع (سفيان) حاجبيه في دهشةٍ قائلًا:

- بجد لسه فاكرة تسألي؟! كنت فاكرك مش هتسألي أبدًا!

ابتسمت في ثباتٍ قائلة:

- باعتذر لحضرتك، بس اتصدمت من تطفلك، أقصد وجودك في المكان!

ابتسم ليقترب منها قائلًا:

- بشمهندس (سفيان).. ولي أمر الطالبة (سلمى).

إنه كما ظنت، والد الطفلة.. لكنه أردف قائلًا:

- عشان أكون دقيق أكتر.. أخو (سلمى) الكبير.. مش معقول اكون باباها برده.. ولا انتي ايه رأيك؟!

لاحت تلك الابتسامة على شفتيها قائلة:

- أنا باعتذر، كنت بس بتأكد من هوية حضرتك عشان سلامة (سلمى) وكل الطالبات.. عن إذن حضرتك.

أنهت جملتها وركضت بعيدًا لتهرب من دفء مشاعره وحرارة مشاعرها التي ثارت كالبركان بين ضلوعها لتحرق الحواجز بينهما، وتبدأ قصة عشقهما.

خرجت (سديم) من درب ذكرياتها حينما جذب انتباهها بعض الضوضاء خارج غرفتها.. يبدو أنها مشاجرة.. صراخ رجال ونساء من أجل المال.. الذي أدى إلى تعاستها.. دخلت في دوامةٍ أخرى من دوامات تفكيرها بعدما مرور بضعة أيام على دفن جثمان والدها حين سافرت إلى مسقط رأسها.. وقفت (سديم) أمام هذا المنزل الكبير المهيب.. لا، إنه أحد القصور العريقة.. اقتربت من هذا الخفير قائلة:

- ممكن تفتح البوابة.. عايزة اقابل عمي (عبد الحكيم).

حدق إليها دون اكتراثٍ.. لتردف قائلة:

- انت يا.. باقولك افتح البوابة.. أنا بنت أخو (عبد الحكيم).. أنا (سديم عبد الله).. افتح الباب عاوزة ادخل اكلم عمي.

شعر الخفير بالتخبط، وقبل أن يجيب، تحدث أحدهم قائلًا:

- افتح الباب.. مش سامع ستك بتقول ايه؟!

التفتت (سديم) كي تعرف هوية المتحدث، فشعرت بالدهشة والرعب معًا.. إنه (فضل).. حدقت إلى جسده الضخم، فابتسم في مكرٍ ثم اقترب بضع خطوات ليردف قائلًا:

- وست البنات كلهم.

تذكرت (سديم) تلك اللمسات التي اختلسها منها على حين غرة حينما كانا مراهقين.. ما زالت تحدق إليه، فأردف قائلًا:

- يا مراحب بيكي يا بنت عمي، ليكي شوقة كبيرة أوي.

ارتجفت جفونها قائلة:

- ازيك يا (فضل).. أنا.. أنا جيت عشان...

اقترب منها أكثر قائلًا في ود:

- انتي تيجي في الوقت اللي تحبيه، بسبب وبدون سبب.. دا حتى في يوم من الأيام كان ممكن تفضلي هنا على طول.. جنبي.. ولا ايه؟!

ازدردت (سديم) لعابها لتبتعد بضع خطوات، فصرخ قائلًا:

- اتفضلي يا ست البنات.

ثم أشار بيده إلى داخل القصر كأنه يقوم بعرض مسرحي.. ابتسمت (سديم) في تردد ثم لمست تلك الحلقة الذهبية التي تزين إصبعها.. إنها صك ملكية.. دلفت إلى الداخل ليفتح (فضل) الباب الداخلي للقصر مرحبًا بها.. جالت عيناها في أرجاء المكان، وحين شاهدت هذا السلم الكبير المزخرف، رأت سيدة المنزل حين هبطت قائلة:

- يا أهلًا.. يا أهلًا بالغالية بنت الغالي.. مش تقولنا يا (فضل) انه هتجيب القمر معاك!

- أنا ما جبتش القمر.. أنا صادفته قدام الباب عشان ينور لنا يومنا يا ماي.

نظرت (سديم) خلفها في ذهول.. حدقت إليه حين اتكأ على أحد المقاعد الذهبية الفاخرة، ما زالت ترى تلك الرغبة في عينيه.. نظرت إلى زوجة عمها (رجاء) حين سمعت ضحكاتها التي صدحت في المكان جراء كلمات ابنها قائلة:

- يا واد اختشي.. تقول عليك ايه دلوقتي! يلا روح انده ابوك.. دانتي وحشاه أوي.

أجل بالطبع يفتقدها، فزوجته لا تعلم نتائج آخر مقابلة تمت قبل وفاة والدها..

- تعالي يا حبيبتي اتفضلي في أوضة المسافرين.. عمك هيجي حالًا.. تشربي ايه؟ معلوم الجو هنا غير جو القاهرة.. أكيد حرانة.. ثوانى هاجيب لك عصير بيتي من فاكهة مزارعنا.. مش هتشربي عمرك زيه.

ابتسمت في دهشة حيث لم تكن تتوقع هذا الود.. لقد جاءت من أجل الميراث.. تنهدت ثم جلست على أحد المقاعد الفاخرة لتقدم لها الخادمة كأس عصير البرتقال الطازج ثم سمعت صوت عمها الكهل يأتي من خلفها قائلًا:

- أهلًا يا بنت خوي.. نورتي الدار.

ارتجف الكأس في يدها لتقف أمامه في ترددٍ قائلة:

- أهلًا يا عمي.. بنوركم.

تقدم (عبد الحكيم) ليجلس على أحد المقاعد.. شعرت بالقلق يدب في أوصالها.. فجذبت شهيقًا عميقًا في محاولةٍ لتهدئة نبض قلبها الصارخ بين ضلوعها ثم زفرت في هدوءٍ حين وضعت كأس العصير على المنضدة أمامها.. حدقت إلى عمها الذي جلس في هدوءٍ دون أن ينبس ببنت شفة لتكسر هذا الحاجز قائلة:

- عمي.. أنا محتاجة ميراث بابا.

أطرقت (رجاء) وقد لاح شبح ابتسامة على شفتيها بينما ظل (عبد

الحكيم) ثابتًا لينظر إليها في سخرية ثم ارتفع أحد حاجبيه في بطءٍ قائلًا:

- لا مؤاخذة يا بنتي بس.. ميراث ايه؟

ازدردت (سديم) لعابها ثم قالت في دهشة:

- ميراثي يا عمي.. هو مش والدي يبقى شقيق حضرتك وابن العيلة دي، وكان ليه حاجات سابها من زمن بسبب خلافات قديمة، وانا...

قطع حديثها قائلًا:

- اديكي قلتي.. سابها.. اخوي باعلي كل نصيبه وقبض التمن.

عقدت حاجبيها في استنكارٍ قائلة:

- مين باع يا عمي؟! بابا باع نصيبه ليك؟! طب امتى؟ وفين اللي قبضه مقابل البيعة دي؟! دا احنا مكناش لاقيين في آخر أيامه تمن المسكنات اللي تصبره على حاله لحد ما ربنا يشاء، هو حضرتك ما جتش وشفت ولا ايه؟!

ظل (عبد الحكيم) على صمته، وكذلك زوجته (رجاء) التي أطرقت في أسفٍ مصطنع لهذا الحديث.. تذكرت (سديم) ذلك المشهد حين صفعها عمها الذي استغل ضعف والدها.. الآن فسر عقلها ما حدث حينما قال (عبد الحكيم) في صوتٍ جهوريٍّ حاد:

- اخوي باع كل حاجة ليا.. والعقود كلها مسجلة وموثقة وببصماته

كمان، واللى عندك اعمليه يا بنت (عايدة).

- بالراحة يا حاج.. مش كدة، دي برده بنتنا ومن دمنا أومال.

قالت هذا (رجاء) حين وضعت يدها على فخذ زوجها في أداءٍ تمثيليٍّ مبهر، فأردف قائلًا:

- من دمنا؟! أولًا معندناش بنت تورث واخوي باعلي كل حاجة وانتهى الأمر، شوفي خبا الفلوس عنكم فين.

ثارت (سديم) كالبركان قائلة:

- اسمها بنت (عبد الله) يا حاج.

ضحكت (سديم) حين نطقت حروف كلمة (حاج) ثم أردفت قائلة:

- انت حاج انت؟! ولا عمرك ركعتها بصدق وانت رايح تستغل مرض اخوك وتبصمه على إهدار حقه.. انت حاج انت؟! لما تاكل مال يتيم وتلطم بنت اخوك ومرات اخوك وتسيبهم من غير سند!!

انتفض (عبد الحكيم) ليصفعها، فأمسكت (رجاء) بذراعه مانعةً إياه من الفتك بها ليصرخ قائلًا:

- انتي قليلة رباية.. وانا هاعرف اربيكي من الأول.

وقف (فضل) أمام والده غاضبًا ليمنعه من صفعها حين حاول مرة أخرى، فهبطت يد (عبد الحكيم) ليرحل ثائرًا وتلحق به زوجته ثم حدق (فضل) إلى (سديم) الغاضبة اللاهثة قائلًا:

- ما كنتش احب يوم ما تيجي هنا.. يكون دا الوضع.

اغرورقت عيناها بالدموع وقد تحول غضبها إلى قهر،

راقب (فضل) تلك التفاصيل الدقيقة، فارتفعت أنامله في بطءٍ لتزيل تلك الدمعة التي هبطت على وجنتها الناعمة.. انتفضت (سديم) وتراجعت إلى الخلف في اشمئزاز.. ضم (فضل) أنامله ليضحك قائلًا:

- لو كنتِ وافقتي مكانش كل دا حصل.. كنتي هتبقي ست البيت دا.. مش هتستأذني انك تدخليه وحتة غفير لا راح ولا جه يتحكم تدخلي ولا لأ.. ما كنتيش هتشحتي شوية فلوس دلوقتي عشان تحاولي تعالجي امك.

شعرت بالدهشة قائلة في ذهول:

- انت عارف؟ ازاي؟!

حدق إلى عينيها مبتسمًا ثم قال:

- طبعًا عارف، عارف وباعرف وهاعرف كل صغيرة وكبيرة عنك يا (سديم).. طبيعي الواحد يعرف كل حاجة مراته بتمر بيها.

تحول الذهول إلى صدمة ثم إلى غضبٍ واستنكارٍ قائلة:

- مراتك؟! مرات مين؟! انت مجنون يا بني؟! انت لسه عايش في الوهم دا؟! بص كدا؟!

رفعت (سديم) أصابعها أمام وجهه ليرى خاتم الخطبة قائلة:

- أنا مخطوبة بالفعل.. وخلاص قربت اتجوز اللي بحبه.. انت ازاي لسه بتفكر كدا؟!

وضع يده في جيبه ليتحدث في ثباتٍ قائلًا:

- واللّه يا بنت عمي، أنا اتعودت اتكلم على الحاجة الملموسة فعلًا مش التخيلات والافتراضات.. والملموس دلوقتي انك محتاجاني، ومفيش قدامك حل تاني.. يا تكوني م العيلة وتاخدي فلوسك تعالجي امك.. يا تروحي تستلفي من حبيبك عشان تعالجيها.. بس يا ترى حبيبك معاه أصلًا؟! على حسب ما فهمت، انه اتطرد من شغله تاني.

الآن أيقنت أنه من أفسد حياة (سفيان) ليترك عمله في الشركة دون سببٍ مقنع.. حدقت إليه غاضبة ليبتسم في سخريةٍ قائلًا:

- قلتها لك من سنين يا بنت عمي، وانتي ساعتها هزقتيني وسيبتيني في نص الطريق ومشيتي.. هيجي يوم وتترجيني اتجوزك.. بس انا حنين وبحبك ورايدك ومش هاسيبك تترجيني.. بمجرد إشارة واحدة من صوابعك هاجيلك، وانتي عارفة دا كويس.

أجابت في حزمٍ قائلة:

- دا في حلمك.

ثم تركت هذا المنزل اللعين راكضة..

ذهبت إلى المشفى لزيارة والدتها.. ضاق صدرها حينما تذكرت كلمات الطبيب الذي أخبرها أن تلجأ إلى الله بالدعاء.. لا تستطيع أن تلجأ إلى (سفيان) الذي ترك عمله وأصبح عاجزًا عن تقديم يد العون لها.. بعد تفكيرٍ عميق، قررت الاستسلام إلى رغبات (فضل) كي تنقذ والدتها من براثن الموت..

ظلت (سديم) مستيقظة لليالٍ، تتابع تطور حالة والدتها.. وفي تلك الليلة حينما جلست لتراقب شهقات والدتها أثناء نومها، وقد غرزت بضع آلات طبية في جسد (عايدة) فقط من أجل أن تستطيع التنفس بضعة أيامٍ أخرى.. نظرت (سديم) إلى نافذة الغرفة التي قام (سفيان) بدفع نفقاتها لتراقب بزوغ الفجر بعد ظلام الليل الحالك.. ترى هل يمكن أن يبزغ فجر الفرج بعد كل هذا الضيق؟ لا يستطيع (سفيان) تحمل المزيد من النفقات!

لا بد أن تضحي بأحدهما؛ إما والدتها المريضة، فتتركها فريسة للمرض كي يفتك بها، أو (سفيان) العاشق، فترحل بعيدًا عنه لتتمزق نياط قلبه ويذوق مرارة الخذلان.. من ستختار الآن؟!

بعد مرور بضع ساعات، جلست (سديم) برفقة (سفيان) على مقعد طاولةٍ صغيرة في أحد المطاعم قائلة في وهن:

- مبقاش ينفع يا (سفيان).

ارتجفت جفون (سفيان) قبل أن يقول:

- هو ايه الي مبقاش ينفع؟! ماما (عايدة) حصلها حاجة؟ أنا لسه متطمن من الدكتور و...

تحدثت (سديم) حين لمست خاتم الخطبة قائلة:

- مبقاش ينفع نكمل انت وانا.

صمت قليلًا ثم قال في حزن:

- ايه اللي حصل يا (سديم)؟ ليه بتقولي كدا دلوقتي؟! أنا غلطت أو قصرت في ايه؟!

ارتعدت لتردف قائلة:

- أنا لازم اختار يا (سفيان).. للأسف لازم اختار، وانا هختار أمي.. أنا آسفة.

- تختاري ايه وتعملي ايه؟! ايه الألغاز دي؟! أنا تعبت أقسم بالله يا (سديم) انا تعبت حقيقي.. ما تكوني واضحة مرة واحدة يا بنت الحلال وتفهميني في ايه!

اغرورقت عيناها بالدموع ثم أطلقت العنان لجميع أسرارها.. شرحت كل شيءٍ لتنقشع الغيوم ويكتشف (سفيان) ما كانت تخفيه.. الآن يشعر بالعجز لأنه لم يستطع حمايتها.. أومأ في حنق، يشعر بالرغبة في قتل (فضل) الذي أفسد حياتهما وفرق بينهما لتحقيق رغباته..

وقفت (سديم) أمامه لتحتضنه ثم نزعت خاتم الخطبة لتضعه أمامه في وداعها الأخير قائلة في انكسار:

- عمري ما حبيت ولا هاحب غيرك.. أنا آسفة.

نظر (سفيان) إلى تلك الحلقة الذهبية التي تستقر أمامه على المنضدة بينما تطاير رداء (سديم) الأسود في الهواء لتغادر بلا رجعة كي ترحل مع رجلٍ آخر.. شعر بثورةٍ تجتاح كيانه لكنه حاول الثبات بينما تحركت (سديم) حتى خرجت من المكان.. شعرت بألمٍ يخترق صدرها فأغلقت جفونها لتهدأ ثم أكملت سيرها في بطءٍ ليظهر أمامها.. شعرت بالدهشة، إنه (فضل)!! فقالت في اقتضاب:

- موافقة.

امتدت يد (فضل) نحوها ليطمئنها.. ثم اقترب منها ليضم جسدها إلى جسده حينما التفت ذراعه حول خصرها أثناء سيرهما نحو السيارة..

لماذا تشعر الآن أنها بائعة هوى؟! وكأنها باعت جسدها مقابل الحصول على ميراثها!!

خرجت من دوامة أفكارها على أصوات صراخ تسللت إلى غرفتها حينما دلف المحامي والطبيب إليها مرة أخرى في هذا اليوم.. اقترب الطبيب منها ثم قام بقياس مؤشراتها الحيوية.. كان يتحدث مع

المحامي عن تقريرٍ ما، لم تستطع (سديم) معرفة تفاصيل حديثهما لأنها كانت أكثر انتباهًا لتلك التي تصرخ خارجًا حيث فقدت أمها..

اغرورقت عينا (سديم) بالدموع ليلاحظها الطبيب قائلًا:

- أخيرًا في رد فعل ظهر عليها.

نظر المحامي إليه قائلًا:

- أيوه بس ايه الفعل اللي هي ادت عليه رد فعل؟ ممكن تكون سمعانا واحنا بنتكلم عن تقرير الطب الشرعي اللي يخصها.

حدق الطبيب إلى المحامي قائلًا:

- هي أكيد بتسمع، أنا بس معنديش فكرة نسبة استجابتها للمؤثرات الخارجية ايه.. يفضل فعلًا نتكلم برا.

لم تكن (سديم) تعي حديثهما لكن تلك المنكوبة خارج غرفتها هي كل ما يعنيها الآن.. في أحد الأيام شعرت بما تشعر به من فقدان حينما ذهبت برفقة (فضل) إلى خزانة المشفى لوضع النقود المطلوبة لإجراء العملية الجراحية ليقابلها الطبيب قائلًا في حزن:

- أنا آسف يا بنتي.. البقاء لله.

حدقت إلى الطبيب في ذهولٍ قائلة:

- ايه دا؟! لا انت مش فاهم، أنا جبت الفلوس وحطيتها في الخزنة تحت، هنعمل العملية بكره، انت قلت لي مجرد ما يتوفر المبلغ الكافي

هنعمل العملية.. صح؟

أطرق الطبيب في صمت..

- رد عليا بعد إذنك.. مش انت قلت لي كدا؟ صح؟ يا (فضل) خليه يتكلم.. بيقول البقاء لله لمين دا؟!

نظرت (سديم) إلى (فضل) راجية ليقابلها بنظرة حزينة بينما كرر الطبيب أسفه ليرحل بعيدًا ثم ركضت (سديم) إلى الغرفة التي تقبع فيها والدتها لتجدها نائمة في هدوءٍ وسكينة.. اقتربت من الجثمان في بطءٍ لتناديها هامسة.. دخل (فضل) خلفها ليدعو الله أن يتغمدها برحمته ثم نظر إلى (سديم) التي جلست على حافة الفراش أمام والدتها، فتحول همسها إلى صراخٍ هستيري حين هتفت باسم والدتها مستغيثة بالله مما تواجه من ألمٍ يكاد يفتك بما تبقى من روحها لتسقط مغشيًّا عليها بجوار والدتها.. هنا صفعه ضميره بتلك الجملة التي لم يسمعها أحد سواه:

«انت السبب في موتها يا (فضل).»

جملة ظلت تتردد بين ثنايا روحه لأيامٍ طوال بينما يرى بلورة الثلج التي حارب من أجلها، تذوب وتخبو حتى تكاد تختفي.. هكذا نظر إليها (فضل) حين جلست في ساحة هذا المسجد العتيق.. لم يتوان عن الذهاب معها لقضاء بضع ساعات في ساحة هذا المسجد علها

تستطيع نسيان الأحداث المؤلمة، لقد فقدت كل شيء.. والدها ووالدتها وحبيبها، لم تعد تشعر بالدفء بعد أن جلدها الخذلان لتحيا وحيدة في دنيا الألم.. حدق إليها (فضل) محاولًا بث الطمأنينة داخلها ثم اقترب منها لإزالة تلك العبرات التي سقطت على وجنتيها قائلًا:

- مالكيش غيري دلوقتي.. وانا عمري ما هاسيبك.. ما تقلقيش.

*****

ترغب في الانقضاض عليه والفتك به، إنه من شياطين الإنس الذين يعيثون في الأرض فسادًا.. لا بد أن يتذوق (عبد الحكيم) وزوجته طعم الفقد..

حدقت (سديم) إليه، تفكر في الانتقام منه، فسألها قائلًا:

- بتفكري في ايه؟

أخرجها (فضل) بهذا السؤال من دوامات تفكيرها، انتبهت إليه ثم ابتسمت قائلة:

- ولا حاجة.. بافكر في ماما وبابا.

- الله يرحمهم.

تذكرت جملة قالتها إحدى السيدات في أحد الأفلام من قبل: «يقتل القتيل ويمشي في جنازته.»

ثم نظرت إليه قائلة:

- أنا عاوزة اروح بيت بابا وماما يا (فضل).

قطب جبينه قائلًا:

- وليه يا بنت الحلال؟ مانتي قاعدة معانا في القصر لحد ما تكوني ست البيت هناك قريب.

لماذا يتعمد أن يثير اشمئزازها بكلماته تلك؟!

هل يظن أنها كلمات غزل لطيفة؟!

إنها لم ولن تكون سيدة هذا المنزل اللعين.. ارتجفت جفونها قائلة:

- محتاجة اقعد لوحدي هناك.. محتاجة احس بيهم معايا لمدة.. وحشوني.

أومأ (فضل) موافقًا ثم ربت على كتفها.. لم تنتفض كعادتها بل تركته يحرق جسدها بلمساته كما احترقت روحها بالفعل!

خرجت (سديم) من دوامة أفكارها حين سمعت أحدهم ينطق اسمها.. إنه صوت مألوف، كيف؟! كيف يمكن أن يكون هذا صوته؟! نظرت إلى مصدر الصوت بينما تحرك رأسها أيضًا لتواجه هذا المنادي.. اتسعت حدقتا عينيها بينما ارتعشت جفونها.. إنه (فضل)!! شعرت بالصدمة لتهمس في وهنٍ قائلة:

- (فضل)! ازاي؟! لا مش ممكن!!

ثم أمسكت برقبته في محاولةٍ لخنقه، فيضحك (فضل) وتزداد ضحكاته كما زاد ضغطها بينما يحاول الطبيب والضابط وبعض الممرضات فض الاشتباك حيث تحاول (سديم) الآن قتل الطبيب النفسي!!

أمسك الضابط والطبيب ذراعيها بينما قامت الممرضات بإنقاذ

الطبيب النفسي، وقد خارت قواه حين أصبحت (سديم) في حالة هياج، تحاول التملص من بين يدي الطبيب والضابط صارخة تارة باسم (فضل).. تسبه وتتوعده بالقتل باكية مستغيثة بمن حولها منه.. طالبة إبعاده عنها تارة أخرى..

وقف الطبيب النفسي ليسعل محاولًا إخراج بعض الحروف من فمه ثم أمر الممرضة أن تحضر إحدى الحقن المهدئة سريعًا.. أما (سديم) فكانت تركل بقدميها الهواء علها تستطيع الفكاك من تلك الأيدي التي تمسك بها بينما ينظر إليها الضابط في حزنٍ ثم أمر الطبيب الآخر إحدى الممرضات أن تكبل قدميها، وقد كان.. ثم جاءت الممرضة الأخرى بتلك الحقنة ليسرع الطبيب النفسي بإعطائها إياها.. مر بضع ثوانٍ قبل أن تهدأ صرخاتها أولًا ثم تهدأ مقاومتها لينتهي الأمر بارتخاء جسدها بينما تقاوم (سديم) ألا تغلق عينيها.. ربما قد هدأ جسدها لكن لم يهدأ عقلها الذي قد أعد لها مزيجًا من الذكريات.. تارة ترى نفسها يوم خطبتها لـ (سفيان).. كم كانت سعيدة بردائها الأرجواني بينما تلوح بباقة الأزهار التي قدمها إليها (سفيان).. لا شيء يعوق ضحكاتها التي تصدح في المكان.. كما تذكرت تلك النسمات الباردة التي داعبت رداءها حين وقفت في جلسة التصوير محدقةً إلى عيني (سفيان) لتشعر بالهدوء والسكينة.

وبعد مرور بضع ساعات خارج أحد أقسام الشرطة، جلس الضابط أمام الحاج (عبد الحكيم) شاعرًا بالأسف حيث فقد هذا الأب فلذة كبده، وفقدت تلك الفتاة عقلها لتتحول إلى كائنٍ مفترس..

- أنا آسف يا حاج (عبد الحكيم) اني جيبتك، كان المفروض اجيلك من فترة عشان ناخد أقوالك لكن الطبيب الخاص بيك للأسف قال انه مش مسموح الكلام معاك الفترة دي لكننا لازم ناخد أقوالك انت والحاجة عشان كل القضية هتتحول للنيابة.

- قاتلة.. بنت اخوي قاتلة.

زفر الضابط ثم حدق إلى قطرات العرق على جبينه قائلًا:

- حاج (عبد الحكيم).. انت كويس؟ الجو حر.. أفتح لك الشباك؟

- قاتلة.. قاتلة.

كلمة واحدة ظل يرددها الحاج (عبد الحكيم) لكن ما لبث أن ضاق صدره، فلم يقوَ على التنفس.. حاول سرقة بعض ذرات الأكسجين من خلال شهقات متتالية، فهرول الضابط لجلب المساعدة الطبية.. أمسك الحاج (عبد الحكيم) يد الضابط ليكرر تلك الكلمة مرة أخرى قبل أن يغيب عن الوعي..

مر بضع ساعات ليقف الجميع أمام غرفة العناية المركزة في المشفى ثم حدث الطبيب زوجته (رجاء) التي تقف أمام الباب قائلًا:

- للأسف الحاج (عبد الحكيم) جاتله كذا جلطة في وقت واحد.. أدت لشلل نصفي.. لازم يقعد في العناية لفترة، ويا رب تعدي على خير.

قال الطبيب جملته ورحل لتتذكر (رجاء) تلك الجملة.. لقد سمعتها من قبل حينما تلقوا خبر شلل (عبد اللّه).. صكت (رجاء) وجهها حين انطلقت آهاتها وقد انهار عالمها بين ليلةٍ وضحاها لتفقد ابنها ثم زوجها!

مر اليوم ليبزغ نهار جديد بينما جلس وكيل النيابة أمام الضابط ليقرأ هذا التقرير الذي كتبه الطبيب النفسي ثم نظر إلى الضابط قائلًا:

- لا.. هو بالوضع دا لازم تتحول عشان نعرف، طب اوصف لي كدا، هجمت عليه ليه على الأقل؟! قرب منها زيادة! عمل أي حاجة حسب ما مكتوب في التقرير هنا انه عندها انهيار عصبي أدى إلى اللجوء إلى الصمت والانعزال عن الواقع، ايه جد ساعتها؟ هو الدكتور قالكم ايه طيب ساعتها؟

- هو كان عارف يعمل ولا يقول أي حاجة يا فندم.. دي هجمت عليه فجأة.. احنا لحقناه بالعافية، أنا طبعًا معرفتش اتصرف غير اني أمرتهم يربطوها مؤقتًا وزودت الحراسة على الأوضة لحد ما اعرف هتأمر بايه، بس حقيقي مش فاهم.. كل اللي حصل انه نده اسمها

لما قعد قريب منها، وساعتها حصل الهجوم الشرس دا.. لكن حسب كلام الدكتور بعد ما هدي، قال انها عندها نوع من الهلاوس السمعية والبصرية، ولما سألته ازاي وليه.. قالي انها كانت فاكراه (فضل) القتيل.. وكانت عاوزة تقتله تاني.. عشان كدا أنا عزلتها لحد ما حضرتك طبعًا تقرر هيتعمل معاها ايه.

- طب هو مذكور هنا من المحامي انها كانت بتزور معالجة نفسية.

- حصل يا فندم وطبعًا طلبناها للشهادة، وقالت انها كانت بتتعرض لضغوط شديدة من خلال عيلتها ومرض والدها ووالدتها وكل دا كانت محتاجة تستشير معالجة لكن مكانتش بتاخد أدوية، كانت بس مجرد استشارات لكن حسب ما فهمت من المعالجة انها كانت معرضة من فترة قريبة لاكتئاب حاد، وقالت ان ميولها كانت عدوانية حتى انها نصحتها تروح لطبيب أمراض نفسية وعصبية عشان يقدر يوصف لها نوع من المهدئات لكنها لسبب ما رفضت.

أومأ وكيل النيابة ناظرًا إلى الأوراق أمامه.. هذا التقرير الخاص بالطب الشرعي، يؤكد تعرضها لاعتداءٍ جنسيٍّ وعنفٍ جسدي.. وها هو التقرير الخاص بتشريح جثة (فضل) يؤكد صحة التقرير الخاص بها حيث تم إثبات أنه قام بعلاقة جنسية قبل ساعات من وقوع الجريمة.

ظل يقرأ تلك الأوراق بينما يفكر؛ لقد تأكد بشهادة الجميع والأدلة الممكنة أنها قاتلة.. لكن هل قتلت عن سبق إصرار كما يقول بعض الشهود أم أنها فقدت قواها العقلية جراء ما حدث من اعتداء؟!

هل كانت في حالة دفاعٍ عن النفس؟

كل تلك الأسئلة كانت تجول في عقل وكيل النيابة بينما يكتب أمره بخصوصها، أما عن (سديم) فقد قرر نقلها إلى ذلك المكان الذي إذا تم ذكره، ترتعب القلوب.. تلك المصحة التي يوجد فيها المختلين عقليًّا بل أكثرهم شراسة.. ذلك المكان له مخرجان فقط.. إما مصحة نفسية للعلاج، أو المشنقة والإعدام!

إنه ذلك المكان المظلم المخيف (٨ غرب)!

قام وكيل النيابة بالتوقيع على هذا الأمر وختمه لنقلها إلى (٨ غرب) حتى يتم تحديد حالتها فعليًّا..

وبعد مرور بضع ساعات، جلست (سديم) على فراشها في المشفى مقيدة بالأصفاد، تحدق إلى الفراغ في جمود.. فُتح الباب ليدخل الطبيب، نظرت إليه في صمتٍ، فجلس على هذا المقعد في أحد أركان الغرفة حين دخل ممرضان لإعطائها جرعات من الدواء الذي تم وصفه لها.. حين اقترب منها أحدهم، هتفت قائلة:

- عاوز مني ايه؟ عاوز مني ايه تاني؟ سيبنى فى حالي بقا.

فقام بإحكام الوثاق ليعطيها جرعتها من المهدئ بينما دون الطبيب كل شيءٍ يحدث أمامه ليقدمه إلى الطبيب النفسي الذي سيراقبها بدءًا من اليوم في (٨ غرب).. تمددت على الفراش في سكونٍ بعدما تناولت تلك الجرعات من المهدئ بينما حاول عقلها استيعاب ما يحدث.. هل مات (فضل) حقًّا؟ هل أصبحت قاتلة؟ هل ارتكبت هذا الذنب؟ لكن مهلًا إذا كان قد مات حقًّا.. لماذا تراه في كل مكان؟!

إنها ترى ضحكته في كل الوجوه التي تدخل غرفتها.. يرغب في الانتقام منها.. ارتخى جسدها بعد تناولها تلك الحقنة لكنها تلك المرة تشعر بالنعاس.. مر الوقت إلى أن استقر جسدها في غرفةٍ ما في أحد المستشفيات.. نظرت إلى الطبيب الذي يحدق إليها بينما يقوم هذا الممرض بفك وثاقها.. حاولت (سديم) أن تقاوم إغلاق جفونها لكن خارت قواها بالفعل لتغرق في سباتٍ عميق..

أما في مشفى آخر، كان الطبيب يقوم بقياس المؤشرات الحيوية للحاج (عبد الحكيم) بعدما تم نقله إلى غرفةٍ أخرى لأن حالته قد استقرت.. نظر إلى زوجته - التي وقفت متضرعة إلى الله ليحفظ زوجها - قائلًا:

- الحمد لله يا حاجة.. الحاج بقا كويس، وتقدروا تخرجوا من بكره لو حابين لكن أهم شيء العلاج والبعد ثم البعد عن أي ضغوط.

أومأت (رجاء) قائلة:

- أكيد يا دكتور.. زي ما حضرتك تقول، طب كان عندي سؤال يعني.

ثم نظرت إلى زوجها الراقد في فراشه لتردف قائلة:

- هو هيرجع زي ما كان يا دكتور؟

زفر الطبيب قائلًا:

- والله يا حاجة.. ماخبيش عليكي، الموضوع صعب وهياخد وقت طويل، أهم شيء إنه يواظب على العلاج الطبيعي والدوا المكتوب، ولازم كل فترة يجي عشان نشوف تركيز الدوا محتاج يزيد أو يقل على حسب وضعه الصحي.

أومأت (رجاء) ثم شكرت الطبيب الذي غادر فور إنهاء كلامه ثم نظرت إلى زوجها لتمسك يده قائلة:

- شفت يا ابو (فضل).. اهو قالك هتبقى كويس، ما تقلقش يا خويا.. أنا جنبك.

اغرورقت عينا الحاج (عبد الحكيم) بالدموع حين ذكرت اسم ابنه الراحل، فقالت (رجاء) في حزم:

- ما تقلقش يا حاج.. هتتعاقب أشد عقاب وهناخد بتارنا منها.

نظر إليها (عبد الحكيم) لتعبر نظراته في صمتٍ عما يرغب في قوله..

«هل عقابها سيعيد إلينا فلذة كبدنا؟!!»

رددت (رجاء) في ألمٍ بعض الأدعية كي يلهمها الله الصبر..

مر الليل سريعًا، وقد بزغ فجر يومٍ جديد.. وقفت (رجاء) في الصباح أمام بوابة قصرهم بينما تمسك بيدها هذا المقعد المتحرك الذي يقبع عليه الحاج (عبد الحكيم) بعد أن غادر المشفى.. نظرت (رجاء) إلى زوجها لتربت على كتفه ثم تقوم بتحريك المقعد إلى الداخل، دخل كلاهما إلى البيت الذي لا يزال مزينًا بالأزهار من أجل ليلة زفاف (فضل).. جلست (رجاء) بجوار زوجها، تحدق إلى تلك الملامح التي يكسوها الحزن لتكتشف هذا التشابه بين زوجها وأخيه الراحل (عبد الله).. لتشعر بالذنب الذي اقترفه زوجها عندما حرم ابنة أخيه الإرث.. لكن ما ذنب ابنها؟

تذكرت كلام المحامي الذي أخبرها بتقرير الطب الشرعي حيث يثبت اعتداء (فضل) عليها.. لتحدث نفسها قائلة: «لا، هذا ليس ذنبًا، لم يكن ابني مذنبًا في عشقه بل هي الزانية المذنبة.. إنه لن يقترب من امرأةٍ رغمًا عنها.»

هكذا كانت تردد (رجاء) لتطمئن قلبها وتشتعل نيران الحقد داخلها تجاه تلك القابعة في أحد أركان مشفى الأمراض النفسية والعصبية..

فتحت (سديم) عينيها، إنها في مكانٍ جديد، أجل لقد شعرت بهذا التغيير.. لكن أين هي حقًّا؟! لا قيود في يدها.. لا شيء في الغرفة سوى

هذا الفراش الذي تستقر عليه في هدوء، نظرت إلى الباب الحديدي الذي يفصلها عن العالم الخارجي ثم وقفت في فراشها ليجتاح رأسها دوار مفاجئ.. ذهبت بذاكرتها إلى منزلها الصغير.. ذلك المنزل الذي حين دخلته، شعرت بالسكينة.. أغلقت (سديم) الباب الخشبي خلفها بينما خارت قواها لتجلس أرضًا مستندة إلى الباب.. تنظر إلى أرجاء المنزل بينما تتذكر تلك اللحظات السعيدة.. دلفت إلى غرفتها.. وقفت أمام مرآتها محدقة إلى بشرتها الشاحبة وعينيها الحمراوين، تذكرت (سفيان) واللحظات السعيدة التي جمعتهما.. ثم اتجهت إلى مكتبها الصغير لتمسك بهذا الدفتر حين صدح في عقلها صوت المعالجة حين قالت منذ شهور:

- اشتري نوتة واكتبي فيها كل اللي مخوفك.. كل اللي مضايقك.. رتبي أفكارك بالراحة من خلال الورق وواجهي مخاوفك وكل تصرف ضايقك.. بطلي تهربي من المواجهة عشان لازم هتواجهي فى يوم، فخلي المواجهة بمزاجك بدل ما تيجي غصب عنك عن طريق كوابيس من عقلك الباطن أو عن طريق ردود أفعال عنيفة أو عن طريق اكتئاب زي اللي انتي على مشارف القرب منه اهو.. أهم شيء بعد ما تكتبي كل حاجة، بصي للورق واقريه مرة أخيرة.. وبعدها قطعيه، ولعي فيه يا ستي، المهم تكوني فضيتي الشحنة اللي جواكي وفهمتي نفسك

وواجهتي مخاوفك وكل حاجة مضيقاكي.

نظرت (سديم) إلى غلاف هذا الدفتر الذي مزقت الكثير من أوراقه لكن لم تذهب مخاوفها ولم تنتهِ تلك المواقف التي تدمرها.. أحرقت الكثير من الورق لكن روحها قد احترقت معه.. فتحت الغلاف لتمسك هذا القلم الصغير وتخط بيدها كلمتين (انتقام.. موت) ترغب في الانتقام وليتحقق هذا لا بد من موت أحدهم ثم خرجت من غرفتها لتتجه إلى غرفة والدها.. دلفت في هدوءٍ وقد اعتادت هذا الفعل كي لا تقلق والدها المريض.. نظرت إلى الفراش الفارغ لتتذكر رحيله.. هنا رحل وهنا مرضت والدتها كي تلحق به بعد مرور بضعة شهور.. جلست (سديم) على الفراش محدقة إلى تلك الصورة التي احتفظ بها والدها رغم كل ما حدث.. صورة تضم أفراد العائلة، ابتسمت في سخريةٍ حين رددت كلمة (عائلة).. امتدت يدها لتلتقط هذا الإطار الخشبي حين سخرت من تلك العاطفة التى كانت سببًا في إنهاء حياة والدها.. نظرت إلى وجه عمها الصلب ثم انتقلت إلى زوجة عمها التي تقف خلف والدتها (عايدة) ثم ألقت هذا الإطار الخشبي أرضًا ليتحطم.. ذهبت إلى غرفتها لتمسك بهذا القلم الصغير، وقد استقرت على خطتها حين رسمت دائرة حول وجه (فضل) ثم رسمت علامة خطأ لتغطي وجهه.. نظرت إلى كلمة (موت) ثم نظرت إلى (فضل)

ﻓﻲ تلك الصورة التي تحطم إطارها الخشبي، قررت الاحتفاظ بتلك الورقة وتلك الصورة ليبقى انتقامها قائمًا مدى الحياة.. نظرت مرة أخرى إلى ملامحها ﻓﻲ المرآة لتفكر ﻓﻲ الخطوة الأولى، مرت عيناها على جسدها لتهمس نفسها الأمارة بالسوء بتلك الفكرة الشيطانية حيث قررت أن أولى خطواتها هي (إغواء فضل).. إنه يعشق روحها، ويشتاق إلى لمس جسدها.. لكن هل تلك اللمسة ستروي ظمأه حقًّا أم أنه سيكون تواقًا إلى المزيد؟! ولأجل هذا المزيد سيفعل المستحيل.. حتى لو كان هذا المستحيل، تحطيم تلك الإمبراطورية وهدم هذا القصر.. أجل ستجعل أحلام (عبد الحكيم) و(رجاء) هباءً منثورًا! ظلت (سديم) ﻓﻲ المنزل بضعة أيام، لا تغادره أبدًا.. ترتب ما ستقوم به ﻓﻲ الأيام المقبلة..

مر الوقت إلى أن قرر (فضل) أن يكسر عزلتها، يكفيه هذا الهجران الذي تجاوز الأسبوعين.. وقف أمام الباب حين طرقه أكثر من مرة حتى وصلت إلى أنفه رائحة شيءٍ ما يحترق صادرة من الداخل، فاقتحم المنزل صارخًا.. خرجت (سديم) من المطبخ، ترتدي ملابس المنزل.. شعرت بالدهشة وحاولت ستر ما قد ظهر من جسدها لكن جالت ﻓﻲ خاطرها فكرة شيطانية لتنفيذ خطتها.. رفعت يدها إلى عنقها ﻓﻲ خجلٍ ثم أمسكت بخصلات شعرها الأسود لتقوم بجمعه

على أحد جانبي عنقها بينما نظرت إليه بعينيها الزرقاوين لتبتسم في هدوء.. تجمد (فضل).. هل عادت إليه أحلام اليقظة أم أنه نائم ويرى محض خيالات من صنع عقله الباطن؟!

نظر إلى هذا الثوب الذي يكشف عن ساقيها.. تلك الأقمشة التي تلمس بشرتها بينما تكشف عن عنقها وكتفيها.. اجتاحت الرغبة كيانه ليلهث كأنه يعدو لساعات ثم اقترب بضع خطوات منها لتركض إلى غرفتها بعد أن رسمت أمارات الخجل على وجهها.. توقفت خطوات (فضل) حين راقبها بعينيه إلى أن أغلقت (سديم) باب غرفتها.. ازدرد لعابه لترتجف جفونه ثم ارتفعت يده إلى رأسه ليجفف قطرات العرق.. تسللت رائحة الشيء المحترق إلى أنفه لتخرجه من تلك الحالة التي وقع في براثنها.. ذهب إلى المطبخ، فرآها تحرق بعض الأوراق، وبعد مرور بضع ثوانٍ، وقفت (سديم) خلفه في المطبخ قائلة:

- وحشتني يا (فضل).

التفت إليها قائلًا في دهشة:

- ايه دا؟ بجد؟!

ابتسمت (سديم) ثم ضحكت قائلة:

- مش ما شفتكش بقالي كتير.. يبقا أكيد وحشتني.

أجاب في نبرةٍ مرتجفة:

- بس انتي بتوحشيني حتى وانا شايفك قدامي.

ارتجفت جفونها لوهلة، وقد شعرت بصدق مشاعره وكلامه.. ابتلعت لعابها حين نظرت إلى اتجاهٍ آخر.. يجب ألا تضعف.. دائمًا ما يكون هناك ضحية حتى لو كان عشقه حقيقيًّا.. لا بد أن تتذكر الأذى الذي لحق بها وبأسرتها..

- كنتي بتحرقي ايه؟

نظرت إلى هذا الرماد المتبقي من خطتها الورقية التي قامت بإحراقها بعد أن حفرت كل تفاصيلها بعقلها وقلبها، فقط أبقت على مذكراتها وتلك الصورة العائلية بمكان ما بأعماق غرفتها، ثم ابتسمت مرة أخرى قائلة:

- شوية ورق وجوابات ملهاش لازمة.. (فضل).

- عيون (فضل).

- أنا هارجع اقعد معاكو في القصر لحد ما نكتب الكتاب.

احتضنها قائلًا:

- تنوري بيتك وتنوري حياتي كلها.

سكنت (سديم) في حضنه حين لاحت تلك الابتسامة الشيطانية على شفتيها..

استفاقت (سديم) من شرودها حين دخل رجل لم تره من قبل..

رجل طويل ذو جسم رياضي متناسق، يمسك بيده شيئًا يشبه الهاتف المحمول، أما في اليد الأخرى، يمسك مقعدًا صغيرًا مطويًّا ليبسطه أمامها ثم يجلس في هدوءٍ وقد وضع ساقًا فوق الأخرى.. ظلت النظرات المتبادله بينهما بضع ثوانٍ إلى أن تحدث هذا الشخص قائلًا:

- ازيك يا (سديم).. أنا دكتور (علي).. طبيب أمراض نفسية وعصبية.

لم تجب.. حدق إلى عينيها حيث لاحظ الفضول فيهما منذ قليل لكنها الآن خاوية.. يثيره هذا التغير الطفيف في حركة بؤبؤي عينيها.. صمت بضع ثوانٍ ليفكر فيما قرأه في عينيها، يرغب في معرفة ما يدور بخلدها.. أما عنها، فكانت تفكر في نظراته إليها.. لمَ يحدق إلى عينيها هكذا؟! ولوهلة تذكرت نظرات (سفيان) إلى عينيها.. كم كان يعشقهما! لكن اقتحمت رأسها ذكرى نظرات (فضل) إليها.. إنه أيضًا كان يحب النظر إلى عينيها! سبحت مرة أخرى في جداول ذكرياتها.. تذكرت كيف تفننت في إغوائه!.. حين ارتدت ذلك الرداء القصير لتجلس بجواره بينما تنظر إلى مكانٍ آخر كأنها لم تقصد ذلك القرب والتلامس.. كانت تعلم ما تثيره في نفسه من تلك اللمسات العابرة.. رأت في عينيه الرغبة الملحة حتى أنه طلب تقديم موعد الزواج لكن دون جدوى.. وفي أحد الأيام كانت تجلس بجواره في السيارة بينما

تحرك خصلات شعرها تارة ليظهر بياض بشرة رسغها مقارنةً بخصلات شعرها السوداء، وتارةً أخرى تقوم بجمع خصلاتها ليظهر جزءًا صغيرًا من رقبتها الناعمة بينما تقوم بإصدار بعض الألحان من فمها ثم نظرت إليه في فزعٍ قائلة:

- بص قدامك يا حبيبي.

توقف (فضل) قائلًا:

- مش هينفع كدا يا (سديم).. احنا لازم نعجل بجوازنا، وانا مش فاهم انتي مأخرة الموضوع ليه؟! مرة قلتي عشان تجهيزات جناحنا عشان مش عاجبك ذوق والدتي، وقلنا ماشي وعدلنا الجناح مرة تانية، قلتي شغلي وفصل جديد بدأ ومتقدريش تسيبي شغلك، وقولنا ماشي، في ايه تاني دلوقتي يخلينا نأخر جوازنا؟!

صمتت (سديم) محدقةً إلى عينيه لتستمتع بما يعانيه ثم شردت في تلك الرغبة التي في عينيه لتتذكر كيف نهر أمه منذ يومين حينما رأى تلك الكدمة التي في ذراعها نتيجة ما فعلته والدته.. كم استمتعت بنظرات الرغبة المختلطة بغضبه من أمه!

حدقت إليه كثيرًا حتى ظن (فضل) أنها تشتاق إليه، فاقترب منها على حين غرة محاولًا تقبيلها لكنها تراجعت وقد تبدلت نظرات الاستمتاع في عينيها إلى ذعرٍ واشمئزاز، فقال (فضل) غاضبًا:

- كدا غلط يا (سديم).. اللعب بالنار وحش وهيجي عليكي انتي في الآخر.. بلاش.

ازدردت (سديم) لعابها لترسم ابتسامة مصطنعة على شفتيها قائلة:

- أنا مش فاهمة تقصد ايه!

- لا انتي فاهمة كويس اللى اقصده.. لعبة شوق ولا تدوق دي مش معايا انا.. فهماني؟

ارتبكت (سديم) ثم رسمت هذا الوجه الحزين قائلة:

- أنا برده بتاعة لعب وحاجات من دي؟! شكرًا.

اقترب منها (فضل) قائلًا:

- (سديم).. أنا بحبك ومش قادر اكون بعيد عنك أكتر من كدا.. كل اللي انا طالبه منك اننا نكتب كتابنا، بس لا هنعمل فرح ولا هنعمل أي حاجة زي مانتي حابه، هيكون كتب كتاب بسيط في البيت وخلاص.

فأجابت قائلة:

- يعني هتنفذ لي اللي عاوزاه فعلًا؟

- أي حاجة.. انتِ تؤمري.

امتدت يد (سديم) لتلمس وجهه بينما تحدق إلى عينيه في غنجٍ قائلة:

- أنا موافقة كتب الكتاب يكون الأسبوع الجاي لو حابب، بس بشرط.

نظر إليها (فضل) في استنكارٍ قائلًا:

- شرط؟!!!!

ابتسمت (سديم) في غنجٍ قائلة:

- طلب يا سيدي.. طلب انت نفسك عاوزه.

ابتعد (فضل) قليلًا، وقد زاد اهتمامه ليسأل قائلًا:

- طلب ايه دا بقا؟

- الاستقلال.

ارتفع حاجبه في سخريةٍ لتضحك (سديم) قائلة:

- البيت اللي احنا هنعيش فيه مش بتاعك.. ولا الشغل بتاعك، انت ممكن في أي وقت تكون بره بسبب أي خلاف، وأعتقد اني دقت ما فيه الكفاية من المواقف دي.. أنا عاوزة احس اني هاكون دايمًا في أمان يا (فضل).

- بس انتي عارفة ان محدش يجرؤ يعمل كدا، ولا حتى والدي لأني المتحكم في كل شيء ومعايا توكيل عام.

- عارفة طبعًا.. انت سيد الرجالة كلهم، ربنا يخليك لينا، بس ما تنكرش ان عمي ساعة الغضب بيعمل أي حاجة، وكمان ماما (رجاء).. اديك شفت آخر مرة لما شدينا في الكلام مع بعض، عملت فيا ايه! مسكتني من دراعي وكانت عاوزة تطردني حتى دراعي (فضل) فيه علامات لفترة طويلة بسبب اليوم دا.. فاكر؟

زفر (فضل) وقد شعر بالتوتر.. منذ أن ماتت والدتها، والوضع من سيئٍ إلى أسوأ في منزل (السوالمة)!

أمسكت (سديم) بيده قائلة:

- حبيبي، أنا مش عاوزة غير اني اكون معاك في أمان مش أكتر.

- عاوزاني اعمل ايه يا (سديم)؟ نهج ونخرج من العيلة زي ما باباكي عمل؟!

- لا طبعًا يا حبيبي، أنا مرضاش تبعد عن عيلتك عشاني، وأصلًا عيلتك هما عيلتي، ما نقدرش نبعد عنهم لكن...

- لكن ايه؟

- لكن نقدر ننقل ملكية البيت مثلًا باسمك أو اسمي.

انتفض (فضل) في مجلسه ليصرخ قائلًا:

- انتي اتجننتي يا (سديم)؟! عاوزاني اطرد ابويا وامي؟!

- اهدا بس يا حبيبي.. مين قال هتطرد حد؟! احنا هنعمل كدا اتقاء شر غضبهم عشان احنا منتطردش في يوم زي ما حصل قبل كدا وانت عارف كويس.. حبيبي.. انت نفسك كان نفسك تستقل بشغلك من زمان، قولي كدا ايه اللى هيكون أفضلك؟ هيكون أفضلك تخرج بره العيلة وتشتغل لوحدك من أول وجديد، ولا الحاجة اللي انت تعبت فيها بايدك لسنين تكون فعلًا ملكك؟

لاحظت (سديم) التغيرات التي تطرأ على وجه (فضل) من غضبٍ إلى شرود، والآن سكون بينما بدا الاقتناع في عينيه..

قالت جملتها في إغراء حيث كان هاجسه منذ زمنٍ الاستقلال بعيدًا عن والده.. نظر إليها (فضل) وقد سافر في بحار عينيها حين امتدت يده إلى جسدها، حاولت كثيرا ألا تظهر تقززها منه، فأجبرت شفتيها على الابتسام ثم أجبرت جسدها على الاستسلام بين يديه.. لقد لمس (فضل) جسدها حينما كانا مراهقين.. حاول كثيرًا الاقتراب منها لكنها كانت تبتعد وتصفعه في بعض الأحيان.. أما الآن يجب أن تستسلم.. تشعر بالغثيان مع كل لمسة، تنظر إلى جسدها في المرآة، فيثير داخلها رغبة الانتقام.. يجب أن يتجرعوا الآلام التي تجرعتها.. ألم الفقدان والاحتياج!

وبعد مرور بضعة أيام، أشعلت تلك النار في قصر (السوالمة) حيث تنافس الأب والابن في مشاجرةٍ كبيرة بعد أن علم الحاج (عبد الحكيم) أن ابنه قد نقل ملكية كل شيءٍ إلى نفسه.. وقفت (سديم) أعلى الدرج ناظرةً إلى تلك النيران المشتعلة التي تنطلق في أرجاء المنزل.. ها هى (رجاء) تقف في المنتصف بينهما، تحاول منع الأب من صفع الابن بينما وقف الابن لينهر والده وقد غابت عن ذهنه كل القيم.. ابتسمت (سديم) محدقة في سعادة إلى هذا المشهد الذي

ضحت من أجله بالكثير..

هنا نظرت (رجاء) إلى (سديم) لتصرخ قائلة:

- انتي السبب يا شيطانة.. حسبي الله ونعم الوكيل فيكي.

ارتفع حاجب (سديم) قائلة في نبرةٍ مرتجفة:

- أنا؟! الله يسامحك يا ماما (رجاء).

كادت (رجاء) أن تصعد إليها لتصفعها لكن (فضل) أمسك بذراعها صارخًا كي تتوقف.. وقفت (رجاء) تفكر في دهشة.. هل هذا طفلها؟! ثم اغرورقت عيناها بالدموع شاعرةً بالقهر!

ابتلع (فضل) لعابه بينما تشنج جسده، أطرق ثم ولى مدبرًا حين صعدت (سديم) إلى غرفتها وقد أغلقت الباب لتمنع تلك المرأة - التى تصرخ خارجًا متوعدة إياها بالقتل - من الدخول إليها.

استفاقت (سديم) حين سمعت صوت الطبيب مرة أخرى، وقد حاول جذب انتباهها بعد أن علم أنها تبحر في عالمٍ آخر.. نظرت إليه قائلة:

- عاوزة تقتلني.

قطب الطبيب جبينه قائلًا:

- مين دي؟

نظرت إليه (سديم) قائلة في وهن:

- مرات عمي عاوزة تقتلني.

زفر الطبيب حين رآها تنام في وضع الجنين على الفراش بينما تغلق عينيها وتذهب إلى عالمٍ آخر.. أغلق جهاز التسجيل الخاص به ثم قام ليطوي المقعد مرة أخرى ويخرج في هدوء..

أما هناك داخل حلم (سديم) كانت ترى تفاصيل ما حدث ذلك اليوم.. إنه يوم زفافها حيث تزين البيت بتلك المصابيح المبهجة والأزهار الجميلة.. لمعت عينا (سديم) في المرآة حين حدقت إلى نفسها.. ثوب العروس الأبيض الناصع يزيدها جمالًا.. نظرت إلى تلك الباقة الجميلة من الأزهار.. أخبرها (فضل) أنه قد جمعها من حديقتهم الخاصة، أمسكت تلك الباقة بضع ثوانٍ قبل أن تتركها لتنظر إلى المرآة، فتلاحظ من يراقبها في هدوء.. هل كانت تحلم من قبل أن يتم مراقبتها خلسة مثلما فعل والدها؟ أجل حلمت بذلك لكن من شخصٍ آخر وفي مكانٍ آخر.. بدا الجمود على محياها ثم أمسكت هاتفها لتكتب رقمًا حفظته عن ظهر قلب.. رقم (سفيان).. مر بضع ثوانٍ قبل أن يجيب (سفيان).. ذلك الصوت الذي يعزف على أوتار قلبها، رفعت يدها لتضعها على موضع قلبها حين همست قائلة:

- وحشتني.

صمت (سفيان) ثم قال في دهشة:

-(سديم)؟!

أجابت باكية:

- أنا عمري ما حبيت ولا هاحب غيرك.. عاوزاك تعرف دا كويس.. نفسي اهرب دلوقتي واجيلك اترمي في حضنك.. نفسي اسيب كل حاجة عملتها ورايا واستسلم واجيلك، نفتح صفحة جديدة.. نفسي لكن ماقدرش، أنا اتنازلت عن حاجات كتير أوي.. لازم اخد حقنا اللي راح هدر.

- حق ايه يا (سديم)؟! أنا مش فاهم حاجة! انتي كويسه؟! تنازلات ايه؟ حد عملك حاجة؟

ابتسمت (سديم) حين شعرت بهذا القلق في صوته، إنه ما زال يحبها.. ثم قالت:

- هتوحشني أوي.

همست بتلك الجملة ثم أغلقت المكالمة بل أغلقت الهاتف.. رفعت أناملها لتزيل دموعها ثم نظرت إلى ملامحها في المرآة مرة أخرى بينما تحركت لتنظر إلى هذا الشخص الواقف خلفها، وقد بدا على قسمات وجهه الغضب قائلًا:

- بتكلميه لسه؟! دا انتي هتكوني على ذمتي كمان كام دقيقة! لسه بتكلميه وتحبي فيه؟! انتي ملكي.. فاهمة؟

ابتسمت في استمتاعٍ حين اقترب منها لاهثًا ثم تحولت ابتسامتها إلى

ضحكةٍ شيطانية قائلة:

- عمري ما كنت، وعمري ما هاكون لك.

نظر إلى يدها التي ما زالت تمسك هذا الهاتف اللعين ليختطفه ثم ألقاه تجاه المرآة لتتهشم وتتناثر على الأرض حولهما، حدقت (سديم) إلى تلك اليد التي ارتفعت في الهواء لتسقط على وجنتها في قوة أفقدتها توازنها بضع ثوانٍ ليهمس قائلًا:

- انتي ليا وبس.. وزي ما هاخد جسمك، هاخد قلبك أو روحك.. الاختيار ليكي.

نظرت إلى عينيه في ثبات.. اقترب من جسدها لاهثًا ثم جذب خصلات شعرها بينما يضع يده على عنقها ليستشعر نبض عروقها الساخنة أسفل أنامله، وقفت (سديم) لتواجهه بينما تلفح أنفاسه الساخنة بشرتها، تبادل النظرات بينهما، كان القشة الأخيرة التي قصمت ظهر البعير لينقض عليها وينال منها ما يرى أنه حقه، حين لمس شفتيها ليقبلها تلك القبلة القاسية، بدأت (سديم) في الاستسلام.. أجل لقد حانت اللحظة المنتظرة بينما شعرت بيده التي تقوم بتمزيق ثوبها.. شعرت بتلك الجروح والخدوش على بشرتها حين مزقت أظافره جلدها الرقيق.. تحملت ذلك الألم في سبيل أن تصل إلى ما انتظرته لكن لم يكن ذلك الألم الوحيد الذي واجهته حيث

قام بدفعها أرضًا لتخترق كتفها قطعة زجاج من تلك المرآة فتحدث جرحًا غائرًا.. لقد تمزق ثوبها لتظهر تلك البشرة التي اشتاق كثيرًا إلى لمسها.. اقترب منها ليزيل عنها تلك الأقمشة البيضاء الحريرية بينما ينال منها حين حدقت إلى سقف الغرفة باكية، لقد ضحت بآخر شيءٍ تملكه مقابل اكتمال انتقامها..

مر بضع دقائق حتى أنهى (فضل) ما كان يرغب في فعله ثم وقف ناظرًا إلى تلك الجروح التي أحدثها في جسدها.. حدق إلى هذا الدم المتدفق من جرح كتفها بينما نظر في فزعٍ أكبر إلى قطرات دمٍ أخرى في أطراف ردائها.. أجل إنه كما تقول أمه ونساء العائلة، (إثبات شرفها).. لكن هل تلك هي الطريقة المثلى التي يجب أن يثبت بها الرجل أن زوجته عذراء؟! وضع (فضل) يده فوق رأسه بينما ما زالت (سديم) ممددة أرضًا محدقة إلى السقف وقد اشتعلت النيران في قلبها وعقلها.. تحركت في بطءٍ حين اتكأت على هذا المقعد الصغير الذي تناثرت عليه قطع الزجاج.. لم تستطع الوقوف، لذا جثت على ركبتيها ثم قامت بفتح هذا الدرج الصغير، نظرت (سديم) إلى آخر خطوة في انتقامها.. ملامحها الجامدة وتلك النظرة الخاوية ما زالت قائمة، وقد دمر (فضل) بفعلته كل بقايا تأنيب الضمير لديها.. لقد انتهكها.. دمرها كليًّا بعد أن فقدت كل شيء.. اجتاح الغضب

كل خلايا جسدها، هذا الغضب الذي يجعل الجسد في حالة غليان.. تمكنت من الوقوف أمامه.. نظر إليها (فضل) شاعرًا بالصدمة حين رأى ما أخرجته.. إنه سلاح!! التفتت إليه محدقة قبل أن ترفع هذا السلاح موجهةً إياه إلى صدره ثم أطلقت الرصاص ليسقط صريعًا.. ظلت نظراتها جامده في الهواء حيث كان يقف (فضل) منذ ثوانٍ بينما تشنج ذراعها، وقد ظل مرتفعًا في الهواء.. انتفض جسدها حين انطلقت صرخات تلك الخادمة التي دخلت لتراها هكذا.. غادرها هذا الغضب ليحل مكانه الصدمة حين هبط ذراعها بينما ارتجفت جفونها وقد خارت قواها لتجثو أرضًا محدقة إلى جثمان (فضل)..

انتفض جسدها حين استيقظت من حلمها.. لا لم يكن حلمًا.. إنها إحدى ذكرياتها.. ذكرى مفزعة مؤلمة! جلست (سديم) على فراشها بينما وضعت يدها على رأسها لتجذب بصيلات شعرها إلى الخلف، وتفكر.. هل هي سعيدة؟ هل تشعر بالرضا والارتياح؟ نظرت إلى جوانب الغرفة، تمنت أن تعود إلى بيت والديها.. أما هناك في منزل والديها، كان يقف (سفيان) أمام باب المنزل المحطم، دفعه بيده ثم دلف إلى الداخل ليراه حطامًا.. جاء إلى هنا حينما هاتفه أحد الجيران ليخبره أن لصًّا قد اقتحم المنزل، إنه الشخص الوحيد الذي تبقى من تلك العائلة التي انتهى أثرها من الوجود.. أجل إنه

لم يدخل العائلة رسميًّا لكن قلبه كان دائمًا هنا، نظر حوله ليتبين ما سرقه اللص من منزلٍ متهالك كهذا.. ثم دلف إلى غرفة (سديم) ليفحصها.. حاول استنشاق عطرها، فابتسم شاكرًا الجدران التي احتفظت برائحتها كل ذلك الوقت.. جلس على الفراش ليفكر في حالها.. نظر أرضًا ليرى هذا الدفتر.. أجل، إنه يتذكر هذا الكتاب الصغير الذي اشترته حين أخبرتها المعالجة بذلك.. فتحه لتسقط صورة قديمة، أمسك بتلك الصورة ليحدق إليها.. إنهم أفراد عائلة (سديم).. قطب جبينه ناظرًا إلى تلك العلامة على وجه (فضل)!! ثم وضع الصورة جانبًا بينما أمسك بهذا الدفتر ليقرأ كل ما خطته يد (سديم) وكان أول كلامها جملة، ظل يحدث بها كثيرًا..

«قبل أن أموت وحيدة.. سأنتقم.»

ظل يقرأ كل حرفٍ كتبته (سديم) حتى وصل إلى كلمة (موت) وبجوارها اسم (فضل).. حدق في دهشة، ظل بضع ساعات يفكر، يحاول استيعاب تلك الفكرة، هل هذا الفعل قد يصدر حقًّا من تلك الفتاة الرقيقة الجميلة؟ إنه قتل عن سبق إصرار! ارتعشت جفونه وقد شعر بالرعب حين قرأ مرارًا وتكرارًا ما خطته يد (سديم) في دفترها..

ماذا يجب عليه أن يفعل؟

لكنها لم تعد حبيبته! لقد أصبحت شخصًا آخر.. لا إنها مسخ!

جلست (سديم) تفكر حين نظرت إلى الجدران الأربعة التي تحتمي بها في (٨ غرب) ثم لفت انتباهها صوت اعتادته يوميًّا، وهو سعال الطبيب حينما يقف أمام هذا الباب الحديدي، ينتظر المرور إليها..

دلف الطبيب ناظرًا إلى جلستها التي لا تقوم بتغييرها حتى وقت النوم.. تتخذ وضع الجنين!

- ازيك يا (سديم).

نظرت إليه، فنظر إلى قدميها حين احتضنت ساقيها قائلًا:

- الجو ساقعة شويه النهارده على قعدة الأرض دي.. ولا انتي ايه رأيك؟

لم تنبس ببنت شفة.. حالة من الهدوء والصمت المميت.. جلس القرفصاء أمامها قائلًا:

- أنا قابلت (سفيان).. بس قابلته في مكان غريب شويه.

ارتجفت جفونها في فضول..

- اتقابلت أنا وهو في القسم، بيسلم عليكي كتير وعاملك مفاجأة مدهشة.

نظرت إلى موضع خاتم الخطبة حول إصبعها لتتذكر (سفيان).. الشخص الذي عشقته.. لكن ماذا يقصد هذا الطبيب بكلامه؟

نظرت إليه مرة أخرى قائلة:

- تقصد ايه؟

ابتسم الطبيب، وقد خرجت عن صمتها المصطنع أخيرًا ليخرج من حافظته ورقة مطوية بإحكام قائلًا:

- معلش بقا، معرفتش اجيب لك الحقيقة، فصورتها لك.. اتفضلي.

توجست خيفة من تلك اللهجة، وتلك التعابير على وجه الطبيب بينما امتدت يدها بأنامل مرتعشة ثم أمسكت الورقة وفتحتها لتتسع عينيها حين رأت خط يدها الذي رسم حروف كلمة (انتقام).. ليس هذا فقط بل صورة (فضل) أيضًا التي قامت بتشويهها.. قطبت جبينها لتلعق شفتيها، وقد فتحت فمها لتحاول إنكار ما يحدث.. وهنا تحدث الطبيب قائلًا:

- بصي بصراحة انتي هايلة.. وكمان اضطراب ما بعد الصدمة اللي جالك لمدة بعد ما قتلتيه، نفعك كتير في تمثيل الدور كويس، وخصوصًا ان المحامي قدر يوهم النيابة انه الاضطراب جالك بعد الاغتصاب.. لكن كلامك اللي بخط ايدك في المذكرة للأسف نفى الوضع دا، وكمان كان عندك شويه هفوات، كان لازم تعملي حساب اننا مراقبينك ٢٤ ساعة.. مش كدا ولا ايه؟ كنتي كتير بتطلعي ردود فعل تثبت عكس اللي بتحاولي تقنعينا بيه، زي انك كنتي بتجاريني لما اسالك شايفاه

وتقوليلي اه وتشرحي بيقولك ايه؛ كنتي بكل تلقائيه بتقعي في الفخ؛ انا عارف ان ال هلاوس انتهت من مدة والكام يوم الي فاتو كان تمثيل منك والأهم...

ثم تناول الورقة من بين أناملها قائلًا في همس:

-سايبة وراكي مصايب.

اتسعت عينا (سديم) في صدمة..

هل كشف جريمتها من عشقته؟

هل هو من سينهي حياتها حقًّا؟!!

تحدثت كالأفعى، فخرج صوتها كالفحيح قائلة:

- أنا خدت حقي منهم.. دول دمروني.. حرقوا روحي وقلبي واتسببوا في قتل أهلي.. أنا معملتش غير اللي اتعلمته منهم في الحياة.. العين بالعين والسن بالسن والبادي أظلم.. أنا خدت حقي.

نظر إليها الطبيب في حنقٍ قائلًا:

- اخترتي أسوأ طريق لأخد الحق لأنك جيتي على حق غيرك، وانتي بتاخدي حقك.

نظرت إليه في غضبٍ قائلة:

- كان لازم حد يتضحى بيه.. يا إما كنت هاكون أنا الأضحية.. يا حد منهم.

وقف الطبيب ليحدق إليها في شفقة على حالها، وحياتها التي أهدرتها في الانتقام ثم سألها قائلًا:

- طب ولفيتي ودورتي كتير ليه؟ كان ممكن تقتليه وتستقبلي حكم الإعدام برحابة صدر طالما حياتك كدا كدا اتدمرت وما بقتش مهمة عندك.

نظرت إليه في صمتٍ قبل أن تنطق قائلة:

- كان عندي أمل اني اقدر اعيش واتشفى فيهم لأكبر عدد ممكن من الأيام.. لكن واضح انه مش مقدر ليا كدا.

أومأ الطبيب في أسف ثم خرج من الغرفة لتقول من خلفه:

- أنا خدت حقنا منهم.. ضحيت بيه قبل ما يضحوا بيا زي ما ضحوا بابويا قبل كدا.. أنا خدت حقي.

تم إغلاق الباب خلف الطبيب بينما قفزت (سديم) لتركل هذا الباب في غضبٍ صارخة:

-دا حقي.

بينما سار الطبيب في هذا الرواق الطويل ليقدم تقريره الذي يعد أمرًا بالإعدام لها..

نظرت (سديم) إلى هذا المقعد الخاص بوالدتها بينما تنيره أشعة الشمس، وقد استقرت (عايدة) عليه كعادتها، تسبح ربها في سكون..

اقتربت (سديم) من أمها قائلة:

- وحشتيني أوي يا ماما.. بقالك كتير ما زرتينيش.. نفسي اكون في حضنك ولو في الحلم.

نظرت إليها (عايدة) في جمود بعد أن توقف تسبيحها ثم وجهت نظرها إلى أحد خلفها، التفتت (سديم) لتجد والدها يقترب منهما لكن لماذا تبدو تلك العلامات على وجهه؟! علامات الغضب والانزعاج.. قطبت (سديم) جبينها لتقترب منهما قائلة:

- انتو بتعاملوني كدا ليه؟ أنا عملت كل حاجة عشانكم.

- عشان نفسك انتي.

جملة نطقها أحدهم من خلفها.. نظرت إليه.. إنه (فضل).. اتسعت حدقتاها حين ابتسم قائلًا:

- عشان الوجع اللي انتي عشتيه مش عشانهم، فاكراني هاسيبك؟ احنا مع بعض دايمًا.. في الدنيا كنا مع بعض، والموت مع بعض، حتى لو رحنا جهنم.. برده مع بعض.

أومأت (سديم) لتبتعد عنه حين حاولت اللجوء إلى والديها لكن لسببٍ ما ابتعدا عنها.. نظرت إليهما لتصرخ قائلة:

- انتو بتبعدوا عني ليه؟! أنا عملت كل حاجة عشانكم، أنا خدت بتاركم وتاري، أنا دمرتهم زي ما دمرونا كلنا، ليه بتتنكروا ليا؟! أنا

بنتكم اللي بتحبكم.

نظرت إليها والدتها في حزنٍ قائلة:

- انتي نسيتي كل اللي ربيناكي عليه وشيطانك غلبك وبقيتي شبههم.. ربنا يسامحك يا بنتي.

اتسعت عينا (سديم) وقد اغرورقت بالدموع لتهمس قائلة:

- أنا عملت كدا عشانكم.

ثم نظرت إلى الفراغ أمامها ليتبخر كل هذا الوهم وتصطدم بأرض الواقع.. اختلط الحلم بالواقع لكن تلك الهلاوس قد انتهت وتلاشت، والآن هي تعيش هذا الواقع الذي حاولت التملص منه لكن أمر الله نافذ..

نظرت إلى تلك العباءة الحمراء التي ترتديها في انتظار تنفيذ الحكم في أي لحظة.

*****



للترجمة والتدريب والنشر والتوزيع

زوروا موقعنا الإلكتروني

www.ibda3eg.com

info@ibda3eg.com

publishing@ibda3eg.com

dreidibrahim@gmail.com